

AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY

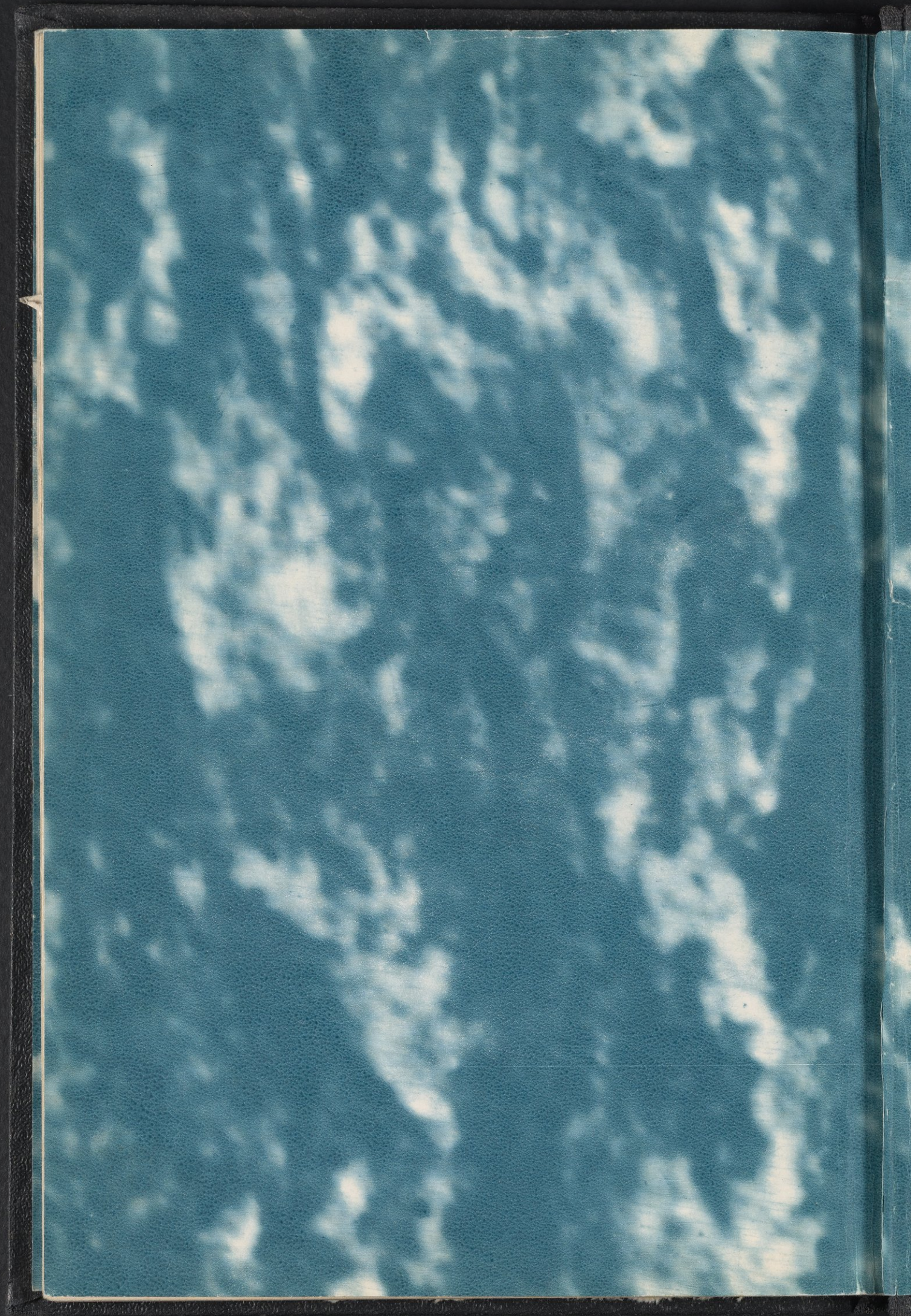


3 8534 01199 2777



FROM THE
LIBRARY OF
THE
AMERICAN UNIVERSITY
IN
CAIRO

من مكتبة
الجامعة الأمريكية بالقاهرة



05-B 1396A Put

Y

11

هَدَايَا الْمَسِيرَةِ

وَأَثَقَ تَارِيخِيَّةً

DS
84
K38
1937

فتوحات

أَبُهِمِيْنَّا شَيْئًا الْمَصْرَ
فِي

فلسطين ولبنان وسوريا

نقلًا عن تقارير انطون كتافاكو قنصل النمسا في عكا وصيدا

١٨٣١-١٨٤١

عربها وعلق عليها

أنحورني بولس قرألي

١٩٣٧

مُطْبَعَةُ الْقَدِيسِ بُولُسِ فِي خُرُصَا

odc

122717826

B13587158

15431010

و

ك

٩٦٤, ٨

ل. ١٠ ف



كلمة للناس

بينما كنا نقلب سجلات انطون كتافاكو^١ قنصل النمسا في عكا وصيدا منذ مطلع القرن التاسع عشر حتى السنة ١٨٤١، المحفوظة في «متحف بونابرت» بالقاهرة، لمنشئه ومنظمه شارل بيك جلياردو^٢، املاً في العثور على معلومات خاصة بأسرتنا، التي كانت في ذاك العهد نسبية اسرة كتافاكو، اذا بنا امام تقارير رسمية حوت فوائد تاريخية مهمة وغير معروفة عن تلك الحقبة

هذه السجلات ثلاثة . احدها ضخم طوى بين دفتيه الرسائل الرسمية، التي كتبها القنصل المذكور بين ٢٥ نيسان ١٨٣١ و ١٥ آذار ١٨٤١، ابّان احتلال المصريين لفلسطين ولبنان وسوريا، الى رؤسائه وزملائه السياسيين، سفير النمسا في الاستانة، وقناصلها في الاسكندرية وبيروت وحلب . اغلبها موجه الى قنصل الشهباء، اليانو بيتشوتو^٣، وهي اسرة يهودية تعاقب افرادها على قنصلية هذه المدينة، وجدنا لهم في خزانة ليثورنو الاميرية عدة تقارير

وقد افادنا المرحوم جلياردو بك انه عثر على هذه السجلات في دار آل كتافاكو بصيدا، وكانت عديدة، لم ينج من الحريق سوى هذه . وبعد وفاته نبهنا الحكومة اللبنانية اليها، فابتاعتها من ارملة وادعتها دار الكتب اللبنانية، حيث يتسنى لخبي البحث مراجعة اصول ما نشرناه وما لم نشره منها

ولما كانت هذه التقارير ثمينة، ومكملة لما نشرناه عن عهد الاحتلال المصري

Antonio Catafago (١)

Charles bey Galiardo (٢)

Eliano Picciotto (٣)

لبلادنا في كتابينا «حروب ابراهيم باشا المصري في سوريا والانتاوضول»، نقلاً عن
مفكرة القس انطون شراباتي، و «الامير بشير الشهابي الكبير»، نقلاً عن تاريخ
الامير حيدر شهاب، رأينا ان نقتطف منها ما يستحق تسجيله على صفحات التاريخ
بخصوص «فتوحات ابراهيم باشا المصري في فلسطين ولبنان وسوريا»، والانظمة التي
ادخلها فيها، وحالتها التجارية والزراعية والعسكرية والنفسية، ولاسيما السياسية،
التي تجلت بمظاهر المؤامرات، والاحتجاجات والثورات، ونزعات الدول المعاضدة لهذا
الاحتلال والمضادة له . فيجاء القارئ، عند مراجعة هذه التقارير، حياة هذه البلاد
في السنين العشر التي كتبت فيها، ويرى الاشخاص والشعوب والدول كلاً يمثل
دوره على هذا المسرح الجديد، الذي اوجدته مطامع محمد علي باشا، الرامية الى
انشاء امبراطورية عربية، تحتل عرش آل عثمان، وتضارع اكبر الدول الاوربية قوة
ونظاماً ورقياً . وهو حلم جميل واسع الافاق، كاد ذلك الرجل العظيم يحققه، لولا
ان عماله افسدوا عليه خطته بسوء تصرفهم . فكرهت الرعايا حكمه، وتسنى
لانكلترا، الواقفة وراء حجاب تركيا، تعزيز روح الاستياء والكراهة، وتاجيج نار
الثورات، وتوحيد مطامع الدول الاوربية . حتى اضطر خديو مصر ان يتركوا
هذه البلاد تعود برضاها الى النير التركي، الذي تعودته اربعة قرون

والتقارير التي نحن بصددھا مكتوبة باللغتين الفرنسية والاطالية، عربناھا
للقراء حرفياً، كما تقضي اصول نقل الوثائق التاريخية، مما ابعدنا مراراً عن روح اللغة
العربية . ووضعنا لكل وثيقة رقماً وعنواناً، وقسمنا الطويل منها الى اقسام،
تسهيلاً على القارئ

ولا يخفى ان صاحب هذه التقارير كان معاصراً للحوادث التي سردها، وشاهد
عيان لاكثرها . تحقّقها بنفسه، او بواسطة من يثق به، كما تتطلب وظيفته . تولى
قنصلية النمسا في عكا ثماني وعشرين سنة . ولما دخلت الجيوش المصرية فلسطين
انتقل الى الناصرة وظل فيها حتى احتل المصريون عكا . فوجدها قد امست خراباً
من قنابل الهاجمين . فتحول الى صيدا، بين فلسطين وسوريا، يراقب تطور الاحتلال
في كلا القطرين . وصار على مسافة قريبة من قصر الامير بشير الشهابي في بيت
الدين الذي امسى محور السياسة المصرية في الامبراطورية الجديدة

فقد كان هذا الامير الكبير ساعد محمد علي باشا الايمن في هذا المشروع الخطير،

وعلى اتفاق سابق معه، راجع الى السنة ١٦٢٢، التي قصد فيها الى القاهرة، ليتوسط في اعادة عبدالله باشا الى ولاية عكا

ذكر الامير حيدر في تاريخه ان محمد علي باشا لدى مواجهته الامير عرفه للحضور بقوله : « هذا كبير عشائر جبل لبنان . تحت يده مائة الف مقاتل^١ » . وان الامير في اثناء اقامته في القاهرة كان « يتردد عليه في كل نهار ويحضر امامه حسب امره » . وادف بقوله : « ان الوزير ارسل مركبين محملين ذخيرة الى عكا وافهم عبدالله باشا انه بعد اربعين يوماً ان لم تحضر الاوامر بالعفو ورجوع المنصب اليه كما كان فتتوجه العساكر من مصر لطرد المحاصرين عكا^٢ » . مما يدل على ان محمد علي باشا كان يأمل من توسطه في امر عبدالله باشا اما الاستجابة فتعظم هيئته في سوريا وتجعل له يداً للتدخل في شؤونها، واما الرفض فتسرح له الفرصة بضمها الى ولايته، لاسيما وان الدولة كانت منهمكة في حرب اليونان

وجاء في « تاريخ الاعيان » لطنوس الشدياق، المعاصر للامير بشير والمطلع على كثير من اسراره، قوله في كلامه على مواجهته لمحمد علي باشا : « ثم صرف العزيز الحضور وامر بابقاء الامير وحده، واسر^٣ اليه جميع ما يرغب منه في جبل لبنان من الخدمة عند الحاجة . لانه كان مزعماً ان يملك بلاد الشام بالسيف^٤ » . ولما احتل المصريون لبنان، دون ان يلقوا ادنى مقاومة من جيشه او من اهله، لفت صاحب هذه التقارير نظر دولته بقوله : « هذا يدل على ان الامير بشير على اتفاق سابق مع محمد علي باشا »

والحق يقال، كان اجتياح الجيش المصري لفلسطين وسوريا كالسيل، ينهمر بشدة ويمر بسرعة ويرتمي في اللجة دون ان يترك وراءه اثراً ثابتاً . فقد كانت الثورات تقوم وراءه، فيسرع الامير برجاله الى اخادها واعادة هيبة المصريين اليها وتوطيد سلطتهم؛ كما فعل بثورات صفد، وطرابلس وعكا ونابلس وحوران . فولاه محمد علي باشا « حكم ومراقبة كل المدن البحرية من اللاذقية حتى يافا، بما فيها صفد وطبرية والناصرية وملحقاتها »، كما ستقرأ في هذه التقارير

(١) كتابنا « الامير بشير » ج ١ : ٣٩

(٢) كتابنا « الامير بشير » ج ١ : ٤٠

(٣) كتاب الاعيان في جبل لبنان ص ٥٣٩

وبقي ضلع المسلمين واغلب الدروز مع الدولة العثمانية، لتضامن الاولين مع السلطان المعتبر عندهم خليفة للرسول، ولكره الآخرين للامير بشير، لاسباب مفصلة في تاريخ الامير حيدر الذي نشرناه . وكان المسيحيون، ولاسيما اللبنانيين، مرتبطين سرّاً مع الدولة المصرية، معلقين عليها الآمال في التخلص نهائياً من النير العثماني ودخول عهد يأمنون فيه على ارواحهم واموالهم، ويتمتعون بالحرية الدينية والمساواة المدنية

وقد عثرنا بين اوراق خزانة بكركي الخطية على عدة وثائق تدعم رأينا هذا نكتفي هنا بنشر بعضها قبل الولوج الى تقارير السجل

حريصاً في ٢٩ ايلول ١٩٣٧

الحوري بولس فرألي



فهرس الكتاب

صفحة	صفحة
٢١	١ كلمة للناس
١١	٥ فهرس الكتاب
٢٢	وثائق خزانة بكر كي الخطية
١٢	١ تهديد الامير بشير
٢٦	٢ تطوع الدروز في الجيش العثماني
٢٧	٣ حث البطريك على الكتابة
٢٨	٤ تجنيد اللبنانيين
٢٨	٥ سقوط عكا
٢٩	٦ التهنة بسقوط عكا
٣٤	٧ حث المطارين على تجنيد رعاياهم
٣٥	وثائق سجل انطون كتافا كو
٣٨	١ دخول الحملة المصرية فلسطين
٣٨	٢ حصار عكا
٣٨	٣ اليهود والمسيحيون
٣٨	٤ حصار عكا وثباتها
٣٨	٥ حال عكا في اثناء الحصار
٣٨	٦ ثبات عكا واميال المسلمين
٣٨	٧ واما المسلمين
٣٨	٨ ثبات عكا واميال المسلمين
٣٨	٩ ثبات عكا واميال المسلمين
٣٨	١٠ ثبات عكا واميال المسلمين
٣٨	١١ ثبات عكا واميال المسلمين
٣٨	١٢ ثبات عكا واميال المسلمين
٣٨	١٣ ثبات عكا واميال المسلمين
٣٨	١٤ ثبات عكا واميال المسلمين
٣٨	١٥ ثبات عكا واميال المسلمين
٣٨	١٦ ثبات عكا واميال المسلمين
٣٨	١٧ ثبات عكا واميال المسلمين
٣٨	١٨ ثبات عكا واميال المسلمين
٣٨	١٩ ثبات عكا واميال المسلمين
٣٨	٢٠ ثبات عكا واميال المسلمين
٣٨	٢١ ثبات عكا واميال المسلمين
٣٨	٢٢ ثبات عكا واميال المسلمين
٣٨	٢٣ ثبات عكا واميال المسلمين
٣٨	٢٤ ثبات عكا واميال المسلمين
٣٨	٢٥ ثبات عكا واميال المسلمين
٣٨	٢٦ ثبات عكا واميال المسلمين
٣٨	٢٧ ثبات عكا واميال المسلمين
٣٨	٢٨ ثبات عكا واميال المسلمين
٣٨	٢٩ ثبات عكا واميال المسلمين
٣٨	٣٠ ثبات عكا واميال المسلمين

صفحة	صفحة
٢٩	سفر الامير خليل الى اللاذقية ٥٠
٣٠	اسرة باحث ونظام الدوائر ٥١
٣١	المصرية في سوريا ٥٢
٣٢	التجند في لبنان ٥٢
٣٣	احتلال الجيش المصري للبنان ٥٣
٣٤	تزع سلاح اللبنانيين ٥٤
٣٥	الزلازل في سوريا ٥٥
٣٦	الزلازل . تجارة حيفا وصيدا ٥٦
٣٧	خسائر الزلازل في سوريا وفلسطين ٥٧
٣٨	مطالب محمد علي باشا من السلطان ٥٨
٣٩	التجند وطريقته ٥٩
٤٠	ثورة حوران ٦٢
٤١	انضمام دروز لبنان الى الثوار ٦٣
٤٢	تسليم المسيحيين في لبنان ٦٣
٤٣	قمع الثورة ٦٤
٤٤	معاكسة ابراهيم باشا للتجار ٦٩
٤٥	طريقة التعدي على الاوربيين ٦١
	استمرار الاضطهاد . الخوف ٧١
	من الثورة ٦٢
٤٦	اضطهاد لابي . الحرب مع الدولة العثمانية ٧٢
٤٧	جهود السيد لابي في تسوية المشكلة ٧٣
٤٨	الثورة في لبنان ٧٦
٤٩	هجوم الثوار . فظائع الارناؤوط ٨٠
٥٠	حبوط الثورة ٨١
٥١	المذابح والنفي ٨٤
٥٢	معاكبة الثوار ٨٥
٥٣	عودة الثورة ٨٧
٥٤	بوادر الحرب ٨٨
٥٥	الاستعدادات الحربية ٨٨
٥٦	ضرب صيدا ٩٠
٥٧	تطوع المتأولة ٩٢
٥٨	نفي الامير بشير ٩٣
٥٩	سفر الامير بشير ٩٤
٦٠	جلاء ابراهيم باشا عن سوريا ٩٥
٦١	تهمة انطون كتافاكو ٩٥
٦٢	اغنية تاريخية ٩٦



١ - تهريب الامير بشير - ورقة سرية مرفوقة بكتاب الى البطريرك يوسف حبش الماروني^١
كانون الاول ١٨٣١

حاوي خير . بوقته حضر جملة تحارير من الاوردي من سعادتته^٢
والباين المادة قريبة النهاية لانهم مباشرين بعمل لغوم وبنهايتهم
يصير الانتهاء.

ثم انه كان حضر لسعادتته كتابة من محمد علي زعل كلي لعاقته
عن التوجه للاوردي ومظهر له ان لم يحضر يكون سبب خراب
بلده وادماره وكلام لا يطاق استماعه توبيخ وتهديد . وهذه الكتابة
وصلت لسعادتته بعد وصوله^٣ بخمسة ايام . فاعرض له عن حضوره
وتعذر له عن عاقته وحضر جواب مديح وشكر ورفع مقام بالكتابة
خلاف العوايد ومحرر له الاخ المحترم^٤ . وارسل للامير محمود جوز
طبنجات وسيف مذهبين . وان شاء الله بدعاكم كل شي . ينتهي بخير
ومن نحو اخبار الشام مرتاحة . وجناب افندينا الامير خليل
يهديكم وافر السلام . واذا كان مجد اخبار جديدة وردتم تكرموا

(١) ١٨٢٣-١٨٤٥ وكان ساكناً في دير آل حبش بساحل علما (كسروان)

ويظهر ان التحرير صادر من دير القمر او من بتدين

(٢) الامير بشير في عكا

(٣) الى عكا

(٤) تجد هذا التحرير في اول الجزء الثاني من تاريخ الامير بشير الذي نشرناه

(٥) ابن الامير خليل ابن الامير بشير

بها نرجو كما اعرضنا سابقاً تكون الكتابات عن يد الخوري اسطفان^١
ببيروت اما عن يد المدير بالحروسة^٢

٢ - نطوع الدروز في الجبل العثماني - عن ورقة سرية الى البطريرك يوسف حبيش
اواسط كانون الاول ١٨٣١

وبخصوص تخييركم عن الضنية وعكار^٣ وانه ربما لا يتوجه لعند
الباشا الا محمود بن شديد وان البقية مرتبطين مع بربر^٤ جنابه افهمنا
ان هذه المادة صارت بخلاف ظنكم لان محمود المذكور هو الذي
ربط ذاته مع بربر والامير خليل وعمه . والبقية بعد ان كانوا في
طرابلس طلبوا اذنًا للخروج لكي يصدوا اهل بلادهم عن التوجه
لعند الوزير فتوجهوا كلهم لعند الوزير المذكور وباقي محمود فقط
والمستجد الان اولا اللغوم الذين شرحنا لكم عنهم قبل تعطلوا
وما نفعلوا شي ابدأ سوى انهم فتحوا لغم ردموا الخندق فقط
ومن نهار السبت الماضي لتاريخه^٥ الضرب مشتغل على عكا
لينفتح درب للهجمة والاتكال على الله ودعاكم^٦ . حضر امر من

(١) حبيش

(٢) القس انطون الشرابي مرشد الامير بشير . راجع ج ١ ص ٣ من كتابنا
« حروب ابراهيم باشا في سوريا والاناضول » وسنشير اليه بحرف ح ويعني بالحروسة بتدين

(٣) جبل وسهول في شمال لبنان

(٤) مصطفى بك بربر متسلم طرابلس من قبل الحكومة المصرية

(٥) عثمان باشا الذي جاء للاستيلاء على طرابلس . راجع اسماء المنضمين اليه

من دروز لبنان لمحاربة المصريين ح ٢٠٠١

(٦) ابتداء حصار عكا في ٦ كانون الاول سنة ١٨٣١

(٧) هذا يدل على ان ضلع الاكليرس الماروني كان مع المصريين

سعادته حتى جنابه يدبر رجال دروز ونصاره تحت تعيين كل يوم
٢ و٣ ونصف^١

٣ - مـ البطريك على الكتبة - عن ورقة سرية الى البطريك يوسف حيش^٢
٢٠ كانون الثاني ١٨٣٢

وربما فهمتم انه قادم وزير من الدولة الى طرابلس لزم صدور
الامر بتوجيه عساكر صحبة الامير خليل والامير عبدالله لعنده.
والاوردي الان^٣ مباشرين بعمل لغومه للسور متى انتهوا تصير الهجمة.
ونهار تاريخه^٤ توجه الامير خليل والامير ملحم ابن الامير قاسم
والقبرصي حين حضر كنا عند المطران مكسيموس لانه ارسل
عز منا. وبرجوعنا افهمنا جنابه انه ارسل لغبطتكم الجواب. فترجو
سرعة ارسال الجواب الذي يجي من حلب. واذا حسن عندكم

(١) لنقل الذخيرة من صيدا الى زحلة حيث اقيم مستودع للجيش المصري كما
سترى في الوثائق الاتية

(٢) يرجح من مضمون هذه الورقة السرية انها للقس انطون شراباتي، صاحب
مفكرة حروب ابراهيم باشا التي نشرناها، او لرئيس دير سيدة التلة في دير القمر.
وهكذا قل عن الرسالتين التاليتين

(٣) العسكر المحاصر في عكا

(٤) اذا كان يعني كما هو الارجح توجه الامير خليل الى طرابلس فتاريخ الرسالة
٢٠ كانون الثاني سنة ١٨٣٢

(٥) هذا يدل على ان البطريك حيش كان يستعلم من السيد بولس اروتين
مطران حلب الماروني عن حالة الجيش التركي والدروز المنضمين اليه ويبلغ هذه
المعلومات الامير بشير ليبلغها بدوره ابراهيم باشا

ارسال مكتوب سؤال خاطر للمعلم بطرس^١ وضمنه اعراض لسعادته^٢
سؤال خاطر وانكم دائماً مقيمين بمقتضى وظيفتكم بتقديم كلما
يجب^٣ لان هذا لازم ومناسب. واذا حسن ايضاً ارسال تحرير السؤال
خاطر لحنا البحري وضعوه ايضاً ضمن تحرير المعلم بطرس وارسلوا
الجميع لنوجههم صحبة امين^٤. وسيادة المطران بطرس^٥ نحن عزمناه
عن امر جنابه^٦

٤ - تخيير البطارين - عن ورقة سرية الى البطريرك يوسف حبش
حوالي اوائل ايار ١٨٣٢

وبخصوص الاخبار البان البوستة متصلة للمحروسة^٧ وطالب
منه الوزير عسكر ستة الاف . ترتب ثلاثة الاف صحبة جناب
افندينا الامير خليل والامير افندي من البلاد جميعه عدا كسروان
والمتن . وتوجيه جنابهم مع العسكر الى اللادقية^٨. واما الظن بان
المتن وكسروان لا بد يُطلب منهم الكماله ويتوجهوا الى غير محل

- (١) بطرس كرامة كاتم اسرار الامير بشير
- (٢) الامير بشير
- (٣) لمصلحة الحملة المصرية
- (٤) الى عكا حيث كان الامير بشير يشترك في حصارها
- (٥) لا نعرف في ذلك العهد اسقفاً مارونياً بهذا الاسم سوى المطران بطرس
ابي كرم مطران بيروت ١٨١٩-١٨٤٤
- (٦) الامير خليل
- (٧) اي من عكا الى بتدين
- (٨) هذا يؤيد ما جاء في كتاب حنا بك البحري الذي سنشره في ما يلي

ما ظهر الان، والظن انه للشام . وطالب من حاصبيا ووادي التيم
الف يتوجهوا للشام ومنها لخص هذا اكيد . اما الاخبار الطائشه انه
يوجد عساكر من نواحي الاستانة وعمارة بجرأ هذه ليست محققة

٥ - سقوط عكا - من الخواجه يوحنا البحري الى البطريرك يوسف حيش

٢٣ ايار سنة ١٨٣٢

قدس قداسة سيد السادة الجليل المفخم ادام الله تعالى غبطته
غب لثم الاقدام الطاهرة والتماس الدعوات الصالحة نعرض انه
بحسب الانتصار المعلن من الملك القهار قد تيسر وتسهل فتح عكا
والاستيلاء عليها كما شاع ذلك وذاع والان فالوردو المظفر المنصور
متوجه بعناية الملك القدوس لجهة الشام وصدر امر سعادة افندينا ولي
النعم المعظم والاسد الجواد المفخم الى سعادة الامير بشير الافخم
بان يجمع جميع رجال الجبل من النصارى والدروز من كل من يحمل
السلاح يسيروا بخدمة دولته الشريفة صحبة جناب الامير خليل
المحترم وسعادة الامير المشار اليه وجه اوامره لجناب ولده الامير امين
المحترم بذلك الخصوص

وكذلك صدر مرسوم شريف من لدن العناية الاصفية الى
مشايخ العقل والعقال الذين بالجبل بانهم لا يتأخروا عن هذه الخدمة
وحيث معلوم صدق خدامة اخوتنا النصارى فما اقتضى اصدار
مرسوم لان الامر لا يحتاج اليه انما وجب على تلميذكم هذا بان
يجرر لغبطتكم بواقع الحال لكي تشهروا امركم على جميع اخوتنا
المشايخ ابناؤ رعيتكم انهم حالاً يسارعوا باجمعهم من كلن فيه

الكفاية لهذه الخدمة الشريفة من دون تأخير ولا توقيف ليزدادوا
بذلك ظناً حسناً كما لا يغرب ذلك عن النيرة الشفافة وبحوله تعالى
ان هذه الخدمة ما فيها سوى الراحة وانما مرغوبنا نوالهم بياض
الوجه كما تقتضيه الاخوية المسيحية وارجو عدم هجري من ضمير
الرضى الاقدس مع دوام تشريفي بمراسيم بركاتكم السنية وادام
الله بقاكم من تلميذكم

يوحنا البحري

(الختم)

في ٢٣ ايار سنة ١٨٣٢

٦ - التهنئة بسقوط عطا - من البطريرك يوسف حبيش الى يوحنا البحري

حوالي ١ حزيران ١٨٣٢

البركة الرسولية تشمل جناب حضرة ولدنا الاعز المحترم الخواجه
ابي سليم يوحنا البحري المحتشم باركه الرب باغزر بركاتة العلية امين
غب وفور الوجد والهيام الى مشاهدتكم الكريمة في كل خير وعافية
انه اذ كنا بحال الطرب والحبور من بزوغ انوار البشري السنية التي
انوارها عمت الورى وذلك جاد به البارى تعالى بالانتصار الفريد
لسعادة ولي النعم المعظم والاسد الجسور المفخم ايد الله ايام دولته
الزاهرة للدوام الذي عنه قد قدمنا لجنابكم التهانى بتحرير
[خصوصي] الا قد وفد الينا تحرير جنابكم المرقوم في ٢٣ ايار
المفصح عن هذا الانتصار الفريد فحمدناه تعالى جل شأنه على هذه
المنة العلية وكررنا ادا الدعوات الخيرية لدى بارى البرية بتاييد
ورفع شان هذه الدولة السنية

ثم وكامل مانوهموه لجهة صدور الاوامر الشريفة بطلب رجال

بلادنا ليتوجهوا بخدمة سعادته الشريفة للشام واننا ننبه على جميع اولادنا ابناؤنا رعيتنا بانهم حالاً يسارعوا باجمعهم من كل من فيه الكفاية لهذه الخدمة الشريفة من دون تاخير ولا توقيف فجميع ذلك بقي معلومنا وحالا بادرنا من دون تاخير برقم كتابات عمومية للجميع حسب المطلوب والذي نعلمه بان الجميع مستعدون لهذه الخدمة الشريفة وبحوله تعالى مع صفو خاطر سعادة صاحب السعادة لا يحصل تاخير وتوقف عن هذه الخدمات التي هي من الفروض المتوجبة هذا ما لزم شرحه لجنابكم ونؤمل دائماً لا تحجبوا عنا بشاير صحتكم وتوفيقكم مع كلما يبدو ويلزم والبركة الرسولية تشمل جنابكم

٧ - هـ المطاريه على نجيب رعاياهم - من البطريرك يوسف حبش الى المطارنة
حوالي ١ حزيران سنة ١٨٣٢

ايها الاخ المحترم

نخبر حضرتكم بان بتاريخه حضر لنا تحرير من جناب ولدنا الخواجه يوحنا البحري المحترم واصل لكم طيه صورته تتطلعون عليها في خير وحيث ان هذه الخدمات يقتضي تميمها بما انها تأول لانشر الخاطر الشريف ويجوز بها الجميع بياض الوجه نرغب من خوتكم ان تعلنوا ذلك لجميع اولادنا ابناؤنا رعيتم وتخشوهم ليسارعوا باجمعهم كلن فيه الكفاية لهذه الخدمة الشريفة حسبما هو مدون بالتحرير المرقوم . نحن جاوبنا حضرته باننا وجهنا كتابات كافية بهذا الشأن وعلى كل حال ستتوجه اوامر خصوصية بهذا الصدد من جناب افندينا الامير امين المفخم حسبما موريه سعادته فخوتكم

حرسوا الجميع ليكونوا مستعدين لتتيم هذه الاوامر الشريفة بغير توقف وحيث اننا نعلم بان الجميع لا يتأخرون عن كلما به الشراح الخواطر الشريفة فلا يلزم لحوتكم طول الشرح . البركة الرسولية واليك الان الوثائق المعربة عن سجل انطون كتافاكو :

١

دخول الحملة المصرية فلسطين

عن الناصرة في ٢١ تشرين الثاني ١٨٣١ . (مترجم عن الفرنسية ص ١٦-١٨ من السجل)

الى البارون دوتنفيل ' سفير النمسا في الاستانة

سيدي

١ - اجتياح الجيش المصري لمدينة فلسطين - لي الشرف ان ابعث اليكم بنسخة من تقريرى السابق المؤرخ في اول ايلول الماضى ، وان اعلمكم ببعض التفاصيل عن الحملة المصرية . فالاشاعات التي راجت عنها منذ ستة اشهر لم تعد الان من التخمينات ، لان الجيش المذكور ترك اخيراً العريش ، حيث كان محشداً ودخل فلسطين رأساً . وقد بدأ قسم منه منذ عشرين او خمسة وعشرين يوماً بالاستيلاء على غزه دون ان يلقي مقاومة . ومنذ بضعة ايام ظهر قسم آخر امام يافا ، ففتحت له ابوابها . حيفا وثمرها هما الآن في يد جيش محمد علي وفي اول الجارى دخلها نحو ستة او سبعة آلاف مقاتل او يزيد ، مع عدد من المراكب اغلبها حربية . وقد وصل اليها ابراهيم باشا ، الذي

اشترك في حرب الموره، على مركب مسلح بثمانين مدفعاً . وهو الذي يقود هذا الجيش المؤلف من ٣٢ الفاً، على قول بعضهم . وينتظر الآن وصول ابراهيم باشا الصغير الى حيفا مع عباس باشا وبقية الجيش والمراكب المتأخرة . وحينئذ يتجه الجميع نحو عكا . وستبدأ المناوشات على ما اظن قبل عشرة ايام، ويقال ان المدينة ستحاصر براً وبحراً

٢ - موقف عبدالله باشا والي عكا - كل هذا يحملنا على الظن ان محمد علي باشا يعمل باذن السلطان وامره . اما عبدالله باشا فيدعي عكس ذلك، وقد اصدر امس بيلوردي بهذا الخصوص ونشره في كل المقاطعة التابعة له . وقد تمكنت من قراءته فاذا هو يشهر بمحمد علي باشا كعاصٍ على الباب العالي، ويصف حملته بانها غير مشروعة، ويقول ان قبطان باشا سيصل بعمارته بعد بضعة ايام ليدافع عنه وعن المدينة . ويستبعد بعضهم ان يقطع خديوي مصر علاقاته مع الباب العالي بهذه الحملة، وانا قريب الى هذا الرأي . ولكن رباطة جأش عبدالله باشا ومنشوراتهِ والوسائل التي اتخذها للدفاع تحملنا على ان ننظر بغاية القلق نهاية هذه الرواية، طالبين الى الله ان لا يسمح بان تتحول الى مأساة، يصبح فيها سكان هذه المدينة المساكين ضحية لهذه الضربة التي تهددهم

٣ - هرب القنصل من عكا - وقد تركت في عكا كل اثاثي وقسماً كبيراً من منقولاتي . ويعلم الله ما يصيب بيتي ومخازني ان اقدمت المدينة على مقاومة الانذار الذي سيوجه اليها وانا على كل حال اعد نفسي سعيداً بخروجي منها . وقد حاول

عبدالله باشا كثيراً ان يبقيني بالقرب منه وارسل الي لهذا الغرض في الايام الاخيرة تترين' الواحد تلو الآخر . وكانت رسائله في غاية من الادب . ولكنني اعرف ان صاحبنا لا يحجم عن ان يتخذ اشد الوسائل ظلماً ليلبغ غرضه مني . وقد صدق ظني لان بعض المقربين اليه اكدوا لي انه سيبعث من يأخذني قسراً ويحرق دير الفرنسيستان الذي لجأت اليه، ان رفضت العودة الى عكا . فاجبته « انه يصعب علي جداً تلبية طلبه في الاحوال الحاضرة . ولكن اذا كان حضوري ضرورياً جداً ساتوجه اليه عند اول اشارة تبدو منه » . وتعرف ياسيدي انه لا يمكنني ان اضع نفسي في القفص واكون تحت رحمة رجل خبث منه في الماضي استبداداً شديداً . فرأيت بعد التروي ان احسن طريقة لنجاتي ان اترك عائلي في الدير وابتعد عن الناصرة . وفعلاً تركتها في اليوم نفسه مستصحباً اولادي الثلاثة ومكثت عشرة ايام في السامرة . وكنت مضطراً الى البقاء هناك لو لم يصل الجيش المصري الى حيفا . واعتقد الان انه لم يعد علي خوف من عبدالله باشا او من ذويه يقال ان عباس باشا بعد الاستيلاء علي عكا سيكون حاكماً عليها وعلى سوريا كلها . وان حكومة دمشق جعلت لابرهم باشا وان ابرهيم الآخر سيولي حلب

٤ - ثورة دمشق - ولا بد انكم سمعتم بالثورة العظيمة التي شبت في دمشق' وهلك فيها الباشا مع كثيرين من ذويه، فقد

(١) اي رسولين ومفردها تتر

(٢) راجع تفاصيل هذه الثورة في « المذكرات التاريخية » التي نشرها حضرة

الخوري قسطنطين الباشا سنة ١٩٢٦

تحولت الى شكل حرب اهلية . واعتقد ان هذه المدينة العظيمة
ستبقى زمناً طويلاً متأثرة من الخراب الذي لحقها من جراء هذه
الشورة، وقد التهمت النيران ثلثها
اما الهواء الاصفر فقد زال والحمد لله . واقبلوا في الختام فائق
احترامي

٢

مصار عطا

الناصره في ١٦ كانون الاول ١٨٣١ . (عن الايطالية ص ٢٢-٢٤) . عن طريق بيروت

الى الكافالير اليانو ده بيتشوتو^١ قنصل النمسا العام في حلب

سيدي القنصل

- ١ - دعوة ابراهيم باشا اياه - الحاقاً بتقرير المؤرخ في ٢١ تشرين
الثاني الماضي جئت بهذه الرسالة لاتم ما ابدت لكم من المعلومات
عن الحملة العسكرية المصرية التي ظهرت اخيراً في هذه الجهات .
فابداً باعلامكم اني قصدت حيفا في يوم ٢٤ الماضي، بناء على دعوة
وردتني من صاحب السعادة ابراهيم باشا قائد الحملة المذكورة، وبعد
ان قضيت فيها وفي الكرمل ثلاثة اسابيع عدت الى هنا في هذا الشهر
- ٢ - وصف الجيشين المصري والعكاوي - ان الجيش المصري مؤلف
من نحو ثلاثين الف مقاتل، منهم خمسة آليات سوارى؛ اي ثلاثة
رماحة وآليان صياده، ومعهم ثلاثة آلاف خيال من البدو المصريين^٢.

(١) (Eliano de Picciotto) وكانت قنصلية عكا تابعة له

(٢) هواري

اما العمارة فمؤلفة من سبع قطع كبيرة تحمل كل منها ستين مدفعا،
ومن ست نقاير وعشرة مراكب شرعية صغيرة^١ واثنى عشر قارباً
مسلحاً بالمدافع . ومع الجيش من خمسين الى ستين مدفعاً كبيراً
للحصار و١٧ هاونا لقذف القنابل

ويُظن ان في عكا نحو اربعة آلاف جندي بين مشاة وفرسان
وطوبجية وان عبدالله باشا قد سلح جميع سكانها الاتراك^٢

٣ - الزحف على عكا - في ٢١ الماضي توجه ابرهيم باشا من
حيفا وفي صحبته ثلاثة آلاف من البيادة المصريين و٥٥٢ هواري^٣
كانوا في جيش عبدالله باشا، والآن في خدمة ابرهيم باشا . وكانت
غايته استكشاف موقع عكا . ولما بلغ آلاي الفرسان عكا اصطدم
بجيش عبدالله باشا ونازله في موقعة صغيرة لم يشترك فيها المشاة .
وفي ٢٥ تشرين الثاني وصل الفريق ابرهيم باشا الصغير الى حيفا ومعه
خمسة عشر الف جندي مصري بين بيادة وخيالة وطوبجية . وبعد
يومين قصد القائدان المذكوران الى عكا ومعهم خمسة عشر الف
رجل من المشاة وآلايان من الرماحة والف بدوي خيال وفرقتان
من البلطجية^٤ وفرقة من الطوبجية وعدد كبير من مدافع الميدان
والحصار . ولم يبق في حيفا سوى ثمانمائة جندي

٤ - هجوم جنود عبدالله باشا - وفي ٢٨ منه تبادل الجيش المصري

(١) Brick

(٢) المسلمين

(٣) Zappatori

مع المدينة وجنود عبدالله باشا بعض الطلقات . ثم اشتد الضرب قليلاً في الايام التالية

وبينما كان المحاصرون منشغلين في حفر الخنادق وتنظيم البطاريات خرج من المحاصرين، الساعة الثامنة من صباح يوم ٢ الجاري، نحو الف مقاتل بين مشاة وخيالة وهجموا بجسارة عظيمة فوصلوا الى اول بطارية للعدو . وهناك دارت معركة يشيب لهولها الاطفال اطلقت في أثنائها كل البطاريات والقلعة ناراً حامية . فاسرع الجنود المصريون الى محل الموقعة وتمكنوا من استرجاع مدفعين كان جنود عبدالله يجرونهما . وبعد قتال دام ساعتين سالت فيهما الدماء انهاراً عاد المهاجمون على اعقابهم الى المدينة بنحو عشرين اسيراً من المصريين . وهم جزء من اورطة اسرت بتمامها، فاستعادتها فرقة الخيالة

وفي ٦ الجاري الساعة الثامنة صباحاً وصل الى المعسكر الآلاي السادس والقي المحاصرون على المدينة نحو مئة قنبلة . وقد بدأ اطلاق النار عند الظهر واستمر طول الليل، فلم تجب المدينة بطلق واحد

٥ - ضرب العمارة لعكا - وفي ٩ الجاري صدر الامر الى قسم من العمارة المصرية ان يترك حيفا ويقصد عكا لضربها من البحر . وفي الساعة الثامنة صباحاً ظهرت امام ميناء عكا سبع مدفعيات واربع نقاقير ومر كبان شرعيان مع بعض القوارب المسلحة، فرست خمس مدفعيات منها ازاء الميناء والبقية وقفت جهة الغرب . وفي الحال بدأت الحرب باطلاق المدافع من كل جهة . وقد اشتركت فيه كل بطاريات المعسكر . ولما كنت احـد المشاهدين ففي استطاعتي ان اؤكد لكم ان النار استمرت الى الساعة الرابعة مساءً، وان المدينة

دافعت عن نفسها ببسالة، مع ان نارها لم تكن حامية كنار المحاصرين الذين القوا عليها في ذلك اليوم عشرة آلاف قنبلة وثلاثة آلاف قنبلة . وقد اطلقت احدى البوارج وحدها ٣٧٠٠ طلق . ولا شك ان المدينة خسرت كثيراً في هذا اليوم ولكن نارها عطلت البوارج الخمس وافقدتها، كما اكد لي بعضهم، ثلاثين قتيلاً و١٣٥ جريحاً، وتكسرت ثلاث صواري . وعلمت ان احد القوارب المسلحة قد غرق، وذهب احد المهندسين الانكليز ضحية سوء رمايته وفي اليوم نفسه وصل عباس باشا الى معسكر عكا مع آلايين من السواري، ادهم من الرماحة والآخر من الصيادة واكثر من الف بدوي راكب

٦ - الحصار - ومنذ ٩ الجاري الى الآن يكتفي المحاصرون بالقاء القنابل على المدينة الى ان يتسنى لهم استعمال مدافع الحصار وفتح ثغرة في السور

هذه هي المعلومات التي رأيت من واجبي ان انقلها الى سعادتكم آملاً ان تحوز القبول لديكم . وفي رأيي ان الحصار سيطول ولكن المدينة لا تقوى على مقاومة جيش جرار مجهز بطريقة تمكنه من افتتاحها والاستيلاء على اية مدينة اخرى لو شاء . وانا واثق الآن ان ابراهيم باشا يعمل ضد ارادة الباب العالي العثماني . ومهما يكن الحال فمدينة عكا آتلة لا محالة الى الخراب، وسيذهب سكانها ضحية هذا النزاع . ولقد قطعت الامل مما تركته فيها، في بيتي وفي مخازني، واصبحت شديد القلق على سجلاتي واوراق الخصوصية . واقبلوا في الختام مزيد احترامي

٣

اليهود والمسيحيون

الناصره في ٢٢ كانون الاول ١٨٣١ . (عن الفرنسيه ص ٢٤)

الى البارون دوتنيل في الاستانة

- ١ - قلق الرعايا اليهود - انتهز هذه الفرصة لاوصيكم بامر اليهود الكثيرين من رعايا النمسا القاطنين في صفد وطبريه . لاني علمت انهم قلقون على ارواحهم واموالهم منذ ظهور الحملة المصرية . ولقد فزت بيلوردي شديد اللهجة في سبيل حمايتهم وبعث ابراهيم باشا طابوراً من جنوده الى صفد وطبريه لاعادة الامن والطمأنينة اليهما
- ٢ - اعفاء ديورة النصارى من الضرائب - ويسرني ان ابشركم انه اصدر امراً باعفاء جميع ديورة اورشليم ، لاي طائفة كانت ، من كل الضرائب والرسوم التي كانت تثقلها سنوياً . فدير الفرنسي سكان هنا [الناصره] كان يدفع سنوياً عشرة الاف غرش تركي لحاكم عكا . وقد الغي هذا الرسم بموجب بيلوردي خاص ارسله ابراهيم باشا اخيراً الى رئيس هذا الدير

- ٣ - تحدي ابراهيم باشا الباب العالي - وفي اثناء مكوثي في حيفا تأكد لي من محادثتي مع كثيرين من الافرنج الموظفين في الجيش المصري ان ابراهيم باشا يقوم بهذه الحملة على سوريا ضد ارادة الباب العالي

(١) راجع مجموعة لمنس (Lemmens) الفرنسي سكانية ٢٣٦:٢

٤

مصار عطا وبنائها

الناصره في ١٧ كانون الثاني ١٨٣٢ . (عن الايطالية ص ٣٢)

الى الكافالير اشربي دي كستلجفريدو^١ قنصل النمسا في الاسكندرية

... منذ ذلك الحين الى الآن لا شغل للجيش الذي يحاصر
عكا سوى قذف القنابل والقنابر على المدينة بكمية عظيمة . فكابدت
عكا خسائر جسيمة وسقطت اسوارها في مواضع كثيرة . ومع ذلك
فعبدالله باشا مشابر على الدفاع بعزم شديد . وارجح ان المحاصرين
سيملجأون في آخر الامر الى اشعال لغم ما . فتروني انتظر بقلق شديد
نهاية هذه المأساة لاعرف ما اصاب اثاثي وبضائعي في هذه المدينة

٥

مال عطا في اثناء الحصار

الناصره في ٣ كانون الثاني ١٨٣٢ . (عن الايطالية ص ٣٢)

الى الكافالير اشربي دي كستلجفريدو بالاسكندرية

..... سمعت ان المحاصرين سيشعلون لغماً عن قريب ثم يعمدون
حالا الى الهجوم على المدينة^٢ . ويظهر ان المحاصرين يوجسون خوفاً
من ذلك وبدأ بعضهم بالهرب . وقد علمنا من هؤلاء ان هذه

(١) Acerbi di Castel Goffredo

(٢) راجع الوثيقة رقم ١

المدينة التعسة أصبحت بحالة يرثى لها من جراء قذف القنابل والقنابر عليها . وعبدالله باشا ما زال يأمل ان تصله عن قريب نجدة الباب العالي

٦

ثبات عطا وامبال المسلمين والمسيحيين

حيفا في ٢٨ شباط ١٨٣٢ . (عن الايطالية ص ٣٣٠ - ٣٤)

الى الكافالير اشري في الاسكندرية

١ - ثبات عكا وخرابها - مع ان عكا قد خربت مراراً وخربت كلها تقريباً فهي ثابتة ثبات الابطال . وقد اكد لي بعض الخبيرين في فنون الحرب المجردين من الغرض انها الآن اقوى منها في اول حصارها . لان خرائب اسوارها تجعل دخولها شاقاً للغاية . ولا بد من اشغال لغم لفتح ثغرة فيها، وقد سمعت ان المحاصرين يشتغلون الآن بهذا اللغم من غير ان يخففوا ضرب المدافع والقاء القذائف وفيما نحن في انتظار نهاية هذا المشهد ارغب في اطلاعكم على حالة القوم النفسية . فالأتراك اغلبيهم موال لعبدالله باشا وبيجاهرون بذلك عالياً . اما سكان جبال نابلس ولبنان فبعكس ذلك يميل اكثرهم الى ابراهيم باشا . وهذا الميل ان لم يكن ناشئاً عن حبهم لهذا القائد فعن المظالم المتوالية التي كان عبدالله باشا يرهقهم بها

٢ - الحرب المنتظرة في سوريا - اشكر لك ارسالك نسخة من

الفرمان الصادر من الباب العالي بتاريخ ٢ كانون الاول . وقد ترجح عندي من قراءته ان سوريا مهددة بحرب جديدة بين جيش السلطان ومحمد علي . فان وقعت هذه الحرب سيتم ولا شك خراب هذه البلاد التعسة . وان لم يذخر السلطان فيها المؤن الكافية فلا يمكنها الثبات في مقاطعة ما نظراً للفاقة الشديدة الحالة الآن بسوريا وخلاصة القول اننا الآن في حالة سيئة ستزداد حرجاً لو خرج عبدالله باشا ظافراً من هذه الحرب . لان المسيحيين سيضطرون في هذه الحال الى هجر هذه البلاد والالتجاء الى حيث يصيرون في مأمن من غضبه

٧

يلوردي السلطان والحالة في سوريا

الناصره في ١١ شباط ١٨٣٢ . (عن الايطالية ص ٣٤ و ٣٥)

الى الاب فرنشيسكو د'يجروتي^٢ محافظ الارض المقدسة في القدس

ابعث اليك مع الاخ ماشيراتا بصورة من الفرمان الذي يندد به السلطان عالياً بسلوك محمد علي والي مصر ، لتجريده العساكر وبعض المراكب على عكا . فهذا التشهير يحمل على الظن ان سوريا مهددة بحرب جديدة بين عسكر السلطان وجيش محمد علي . ومن رأيي ان هذا الامر مستبعد ، نظراً لكثرة الجنود المصرية ، ولان عساكر السلطان لا يمكنها ان تجد في اي مقاطعة من هذه البلاد

(١) راجع مقدمتنا ح ٥٠١

(٢) Dalle grotte

ما يكفيها من المؤن، نظراً للفاقة الضاربة اطنابها فيها . فضلاً عن ان عكا ستسقط على الأرجح في الايام العشرة الآتية، بحسبما اكد لي كثيرون من الضباط الذين يحاصرون الان هذه المدينة التعسة فليطمئن بالك من هذا القبيل، خصوصاً ان لدينا دائماً متسعاً من الوقت لاختد الاحتياطات اللازمة اذا اضطرنا الامر الى ذلك اما دمشق فسائرة في عصيانها . حتى ان الباشا الجديد اضطر ان يتركها ويعسكر خارجاً عنها

٨

تدبير الحصار على عكا

الناصره في ٢٥ شباط ١٨٣٢ . (عن الايطالية ص ٣٥)

الى الكفالير اشري في الاسكندرية

... نحن ننتظر بقلق شديد نهاية مسألة عكا . لا شيء جديد بعد سفر الخواجا باشينلي^١ . ولكنني سمعت الساعة ان سعادة ابراهيم باشا قد وطد النية على ان يحتفل في المدينة بعيد الاضحى القادم، وانه سيأمر بهجوم عام عليها في اواخر الهلال الحالي^٢

(١) علو باشا . راجع « المذكرات التاريخية » لحضرة الاب قسطنطين الباشا ص ٤١

(٢) Baccinelli

(٣) رمضان

٩

سقوط عكا

الناصره في ٣ حزيران ١٨٣٢ . (عن الفرنسيه ص ٣٩ و ٤٠)

..... أبادر الى اعلامكم بسقوط عكا . فمقل البلاد السوريه ،
الذي هوجم مراراً بدون جدوى ، والذي فشل امامه كثيرون من
القواد العظام قد سقط الآن في يد ابراهيم باشا على اثر هجوم تشيب
لهوله الاطفال قام به في ٢٧ من الشهر الماضي . وان حق لنا القول
ان عبدالله باشا قد دافع دفاعاً مجيداً - اذ انه بقليل من الرجال
(٢٧٠٠ جندي) عرف كيف يقاوم ستة اشهر قوات اكثر عدداً
وتدريباً - لا يفوتنا ان نعترف ان عدوه اظهر نحوه ونحو السكان
كثيراً من كرم النفس والمروءة . فقد استطاع كل فرد ان يخرج
من المدينه سالماً مع انها فتحت عنوة . ولم يسمح ابراهيم باشا
لعساكره سوى بنهب المدينه . وقد افرطوا في ذلك ، لانهم استمروا
في السلب سبعة ايام واحرقوا بعض المنازل والابنية . ولقد رغبت
في دخول عكا في هذه الايام الاخيره ولكني لم اطق المكوث فيها
غير وقت قصير بسبب الرائحة الكريهه التي كانت تنبعث منها .
وكفتني هذه الزياره لا تحقق مما كنت اخشاه من زمن طويل ، اي
من خراب بيتي ومحل القنصليه خراباً تاماً . لاننا لم نجد فيها شيئاً
البتة . وعلمنا ان عبدالله باشا في اثناء الحصار باع بالمزاد العلني كل
ما كان فيهما من الاثاث والفضيات والمون وخلاف ذلك ، مع
البضائع الموجوده في مخازننا . وقد اودع الثمن خزينته . وسنقدم

میاناً بهذه الخسائر لنطالب بها ذوي الشأن . وسنعود الى المدينة في فرصة اخرى للبحث عن سجلات القنصلية المفقودة
لا بد ان يكون عبدالله باشا الآن في مصر . فقد ارسله ابراهيم باشا مع كاتخداه ومملوكه الصغير الى حيفا، حيث انزلوهم في احد مراكز خديوي مصر الحربية . واقلعوا بهم في اليوم الثاني الى الاسكندرية . وابقى ابراهيم باشا في عكا حامية مؤلفة من اربعة آلاف . وسمعت انه مسافر ببقية جيشه قاصداً دمشق فحلب . وقد يلقي عوائق جديدة في مشروعاته، خصوصاً اذا تصدى الباب العالي للخديوي . ومما لا ريب فيه ان فتح عكا جعل الكثيرين ينضمون اليه . اما المدينة فبحالة يرثى لها، لا يرجى ان تنهض منها قبل زمن طويل، ولم تعد صالحة للسكنى . وربما سكنت موقتاً في صيدا

١٠

خروج العمارة العثمانية - فتح دمشق

الناصره في ١٩ حزيران ١٨٣٢ . (عن الفرنسية ص ٤٦ و ٤٥)

الى البارون دو تنشيل في الاستانة

ان الرسائل الواردة من الاسكندرية بتاريخ الشهر الماضي تفيد نقلاً عن اخبار الاستانة ان العمارة العثمانية خرجت منها بسرعة ومعها مراكز كثيرة للاتقال، وان السلطان لما علم بالحملة العسكرية الموجهة الى سوريا اهتم لامرها اهتماماً عظيماً وقلد حسين باشا قيادة الجيوش . فظهر بذلك عزمه على مقابلة القوة بالقوة وانه يعد

الخدوي و ابراهيم باشا خارجين عليه وسيعاملهما كعصاة . ففي هذه الحال ارجو سعادتكم ان تبينوا لي الخطة التي يجب علي اتباعها ازاء الحكومة الجديدة في عكا والشغور السورية

وصلت الينا اخيراً اخبار رسمية تنبئ عن استيلاء ابراهيم باشا على دمشق ودخوله اليها في ١٣ الجاري بعد معركة قصيرة نازل فيها فرقة من العسكر النظامي خرجت من المدينة في ١٢ منه . فكسرها كسرة تامة في دارياً على بعد نحو ساعتين من دمشق . وقد القى هذا الانكسار الرعب في قلب الباشا فانهزم من المدينة، وهرب معه المفتي والقاضي ورؤساء الثورة الاخيرة، التي سببت مقتل سليم باشا . وبعد خروجه اجتمع الاعيان وارسلوا وفداً الى ابراهيم باشا يطلبون اليه ان يعامل سكان دمشق بالرفقة والحلم . فقبل ملتصهم وأمنهم على ارواحهم واموالهم ووفى بعهده بكل دقة^١ وعلى اثر هذا الانتصار أصدر منشوراً يعلن فيه انضمام دمشق الى املاك مصر . ويمكننا ان نوكد مقدماً ان هذا الفتح الجديد يسهل عليه الاستيلاء على حلب اذا كان راغباً في ذلك

١١

سلطان سوريا والحملات المصرية - الهجوم الاخير على عطا

الناصرية في ٥ تموز ١٨٣٢ . (عن الايطالية ص ٥١ - ٥٥)

الى الكفاليه اشربي دي كستلجفريدو بالاسكندرية

١ - عبدالله باشا وامواله - لما سأل ابراهيم باشا عبدالله باشا عما تحوي

(١) راجع « المذكرات التاريخية » للاب قسطنطين الباشا ص ٥٢ - ٦١

خزينته اجابه انه لم يبقَ له سوى بضع جواهر تبلغ قيمتها من ألفين الى ثلاثة آلاف كيس . ويقال ان ابراهيم باشا قال له حينئذ : ابهذا الحطام تجاسرت ان تقايس نفسك مع محمد علي باشا ؟ وقد اكد لي بعضهم انهم لم يجدوا في قصره من النقد سوى ثمانمائة كيس

٢ - خيانة الدمشقيين - وقد اوشك ابراهيم باشا ان يأمر بحرق دمشق لانه عثر في يد احد الخارجين منها على رسائل موجهة من اهلها الى الباشاوات المعينين لنجدة سوريا، فعلم من مضمونها ان هناك مؤامرة شنيعة مدبرة لاغتياله واحباط اعماله الحربية . ويقال ان ابراهيم باشا اكتفى بتجريد كل اهالي دمشق من السلاح

وقد سافر منها منذ ثلاثة ايام بجيش جرار قاصداً الى حصص وحماة، حيث اجتمع الباشاوات المذكورون ومعهم من ١٢ الى ١٥ الف رجل، جمعوهم من هنا وهناك . فهم من غير نظام ولا تدريب

٣ - دروز لبنان - اما دروز لبنان فقد حملهم تعصبهم على ان يقوموا ضد المسيحيين والامير بشير، المتحد اتحاداً وثيقاً مع ابراهيم باشا . ولما رأوا ان ابراهيم باشا ذلك القائد الباسل قد علم بما كانوا يضمرونه من احجامهم عن مساعدة الامير قرّر رأي القسم الاكبر من رؤسائهم على ان يهجروا لبنان وينضموا بثلاثة آلاف من ابناء قومهم الى باشا حلب

٤ - المسلمون - اما عثمان باشا حاكم طرابلس، الذي رد عنها من مدة قصيرة، فهو الان في جهات اللاذقية مع جيش مؤلف من

عشرة آلاف رجل . ولكن جنوده غير منظمين ايضاً ، لان اكثرهم من فلاحي الجبال المعروفة بجبال اللاذقية . وما يشجع هؤلاء الباشاوات قرب وصول حسين باشا^١ ويظهر ان بعض قبائل البدو تؤيدهم وانهم يعتمدون ايضاً على تعصب الاتراك^٢ والدعوة التي يثيرونها في تلك الجهات . لان هؤلاء الاتراك غير مرتاحين الى انتصارات الجيش المصري

٥ - البدو - وكان يُظن ان البدو قد اتحازوا بعد اخذ عكا الى ابراهيم باشا . ولكننا سمعنا اخيراً انهم رفعوا القناع عن مقاصدهم ، خصوصاً بعد ان سُجن في دمشق المدعو ضهري السنار^٣ ، احد رؤساء مشايخ العنز . وهي قبيلة مؤلفة من ٨ الى عشرة آلاف مقاتل . وفي القرب منا قبيلة اخرى تدعى بني صخر [صقر ؟]^٤ ، كان ابراهيم باشا قد كلفها قبل سقوط عكا ان تنقل على جمالها الذخائر والمؤن اللازمة للجيش المصري المعسكر في زحله . وهو مكان تابع للبنان وازاء دمشق . فحنثت بعهودها السابقة ورفضت ان تطيعه . فاثارت هذه الخيانة غضب ابراهيم باشا عليها . وعلى اثر سقوط عكا حاول هؤلاء البدو ان يصلحوا ما بدا منهم سابقاً نحو ابراهيم باشا فوعده بالتزول عند رغبته والسير بحسب اوامره في المستقبل . فصفح عنهم ونقدهم ١٥٠ كيساً من اصل كلفة نقل

(١) سردار العسكر

(٢) المسلمين

(٣) Duhri El-Sinar

(٤) Bēni Sakr

(٥) راجع مقدمتنا ح ١ : ٧

الذخائر والمؤن . فبعد ان قبضوا المبلغ وسيروا جمالهم الى حيفا لتحميلها عادوا الى المخادعة وانسحبوا . ثم تظاهروا بالعصيان ضد سعادته . وقد ظهرت نتائج انتفاضهم ، لان طرق الصحراء ومروج ابن عامر لم تعد امينة

٦ - الهجوم الاخير على عكا - ولقد كان الهجوم الاخير ، الذي سقطت عكا على اثره ، شديداً بيعت فيه الارواح ببيع السلاح . بدأ الساعة الرابعة صباحاً ولم ينته الا بعد غياب الشمس . وكان جنود عبدالله باشا قد اصبحوا ١٢٠٠ فقط لان الطويجييه رفقاهم تركوهم بعد ان سمروا بعض المدافع المعدة للدفاع عن الثغرة . فاستبسل هؤلاء الجنود في الثبات امام ذلك الهجوم الشديد واعادوا المصريين على اعقابهم ثلاث مرات . وكان عددهم يربي على الثمانية آلاف . ولم يستقر النصر لابرهم باشا الا بعد ان ابعد جنود عبدالله باشا على بكرة ابيهم

وهذا ما يحملني على ان انضم الى الرأي السائد القائل انه لو بقي لعبدالله باشا الف جندي فقط لثبتت عكا ستة اشهر اخرى . لاسيما وان الاخبار السارة كانت تصل اليها يومياً تقريباً مع شدة حصارها برّاً وبحراً . ولما لم يعد لعبدالله باشا من وسيلة للدفاع اظهر شجاعة غريبة بالثبات ساعتين اخريين امام ذلك الهجوم الهائل . وبعد ذلك رأى من الحكمة ان يتزوي في سرايه وان يرسل من يعلم ابرهيم باشا باستسلامه . فظهر ابرهيم باشا مروءة عظيمة في قبول تسليمه . وهكذا حقنت دماء السكان المساكين

وخرج عبدالله باشا من عكا قرب نصف الليل بصحبة بعض

مماليكه وواجه ابراهيم باشا . اما المدينة وسكانها فقد قاسوا كل
فظائع الفتح والسلب وانتهكت اعراض بعض النساء . نعم ان ابراهيم
باشا اظهر عدم رضاه عن هذا التعدي لكنه لم يستطع ان يمنعه ولا
ان يوقف حدة جنوده وغضبهم . فلم يكتفوا باحراق منازل عديدة
بل استمروا في النهب ما استطاعوا الى ذلك سبيلاً . اما المنهوبات
فبعد ان بيعت بالمزاد العلني تحت نظر ابراهيم باشا نفسه أمر ان تعاد
الى اصحابها الاصليين . وهذا ظلم فادح . لان المشتريين لم يتمكنوا
بهذا الاسترداد الجبري من استعادة اموالهم
الطاعون متفشٍ الان في يافا والرامة والقدس وفي بعض اماكن
من السامرة وطبرية

١٢

سقوط حمص وقصور السلطنة من الحكومة المصرية

الناصره في ١٧ تموز ١٨٣٢ . (عن الايطالية ص ٥٥)

الى الكافالير اشري دي كستلجفريديو في الاسكندرية

لقد سقطت مدينة حمص في يد ابراهيم باشا بعد كسرة تامة
انزلها بالجيوش التركية المجتمعة بجوارها . ويقال ان عباس باشا قد
استولى على اللاذقية . ولكن هذا الخبر يفتقر الى الاثبات
وبالرغم من هذه الانتصارات المتوالية فالسكان من مسلمين
ومسيحيين لا يميلون الى الحكومة الجديدة ، خصوصاً بعد حوادث
عكا . واني على ثقة انهم سيجهرون باستيائهم عند اول نكبة

تصيب الجيش المصري. وهذا ما يحملنا على الظن ان الراحة والسلام
لا يعودان قريباً الى هذه الجهات
ويسرني ان اخبركم ان وطأة الطاعون تخف يوماً عن يوم

١٣

الرسوم والحكومة المصرية

الناصره في ١٧ تموز ١٨٣٢ . (عن الايطالية ص ٥٦)

الى الكافالير اليانو دي بيتشوتو قنصل النمسا في حلب

لم اتأخر عن ان اسند بكل قواي طلبات البولونيين النمساويين
النازلين في صفد لاعفائهم من مبلغ ٧٥٠٠ غرش كانوا يدفعونها
سنوياً الى عبدالله باشا كرسوم ايجار لمنازلهم . وقد رجوت بهذا
الخصوص الخواجا حنا بحري و كيل شوون ابراهيم باشا العام .
فاجابني انه ليس في الامكان الغاء هذا الرسم المعروف بالعرش .
وهي ضريبة تختلف عما كان عبدالله باشا يحصله بدون حق من كل
ديورة الارض المقدسة . وقد اعفيت منها الآن من غير تدخل
الخواجا جوريل قنصل فرنسا في بيروت . رغبت الحكومة الجديدة
ان تظهر بمظهر هذا القليل من العدل لاجل غاياتها السياسية
ومما سبق تفهمون ان اهالي هذه الجهات ما زالوا غير راضين
عن الحكم الجديد لانهم لم يجدوا فيه الى الآن سوى رسوم جديدة

(١) fac totum

(٢) Jorelle

ومضاعفة الرسوم القديمة . حتى ان العمال المصريين يحصلون الآن بدون شفقة ليس ميري السنة الحاضرة فحسب بل ميري السنة الماضية، التي تركها لهم عبدالله باشا لآمال الموسم بقي ان نعرف هل هناك امل في تحسين حالة هذه الشعوب التعسة لو ثبتت قدم الحكومة الجديدة في هذه البلاد

١٤

ممازاة النمانيين

(الناصره في ١٩ تموز ١٨٣٢ . (عن الايطالية ص ٥٣)

الى ياولو مالا جامبا' وكيل قنصل سردينيا والنمسا في حيفا
افيدكم ان الكولونيل البارون اكارتي' قائد الفرقة الامبراطورية
في الشرق قد اعلن لمحمد علي انه مصمم على ان يدافع بالقوة عن
المبدأ المقرر وهو « ان البيرق يحمي الاشخاص والبضائع »

١٥

العمارمانه المصريه والعثمانه

الناصره في ٣٠ تموز ١٨٣٢ . (عن الايطالية ص ٥٨)

الى اليانو پيتشوتو قنصل النمسا في حلب عن طريق بيروت
اتانا من اخبار بيروت ان العماره العثمانية وصلت الى قبرس في

Malagamba (١)

Acarti (٢)

١٦ الجاري وهي مؤلفة من ٣٨ مركباً حربياً و ٧٠ مركباً للنقل وانها توجهت في اليوم نفسه الى الاسكندرية . وفي اليوم التالي القت العمارة المصرية مراسيها في قبرس ايضاً وهي مؤلفة من ٢٢ قطعة حربية . وقد اسرعت حالاً وراء قبطان باشا . فالارجح ان العمارتين قد التقتا الان . ولا بد ان نعرف قريباً نتيجة تصادمهما اما الطاعون، فمع شدة الحر في هذا الصيف، نراه منتشرأ في اماكن كثيرة من سوريا وفلسطين . وقد جاء يقلقنا هنا ايضاً ولكن وطأته خفيفة . واملنا بالله ان يبعده عن هذه الجهات ويحفظ مدينته

١٦

فتح حلب

الناصره في ٧ آب ١٨٣٢ . (عن الايطالية ص ٦٠ - ٦٥)

الى الكفالير اشري دي كستلجفريدو قنصل النمسا في الاسكندرية

١ - موقعة حمص - انبأتكم في تقاريري السابقة المؤرخة في ١٧ و ٥ الماضي عن اعمال ابراهيم باشا لغاية فتح دمشق، حيث ترك حامية مؤلفة من اربعة آلاف جندي . واخبرتكم ايضاً عن كسرة الجنود العثمانية، التي كانت معسكرة من زمن طويل بالقرب من حمص، مع انها عززت باربعة آليات من المشاة وثلاثة آليات من الخيالة، اخذت من الجنود النظامية . فلم تقو على الثبات امام

(١) قائد الاسطول العثماني

(٢) الناصرة وطن السيد المسيح

(٣) راجع المذكرات التي نشرها الاب قسطنطين الباشا ص ٦١

حدة هجوم ابراهيم باشا الباسل . وهذه الجيوش بعد ان فقدت مدافعها ومؤنها تقهقرت الى جهة حلب . فقرر ابراهيم باشا ان يلحقها الى هناك ساعياً وراء انتصارات جديدة . فكان له ذلك؛ وفتحت له حلب ابوابها . ويعد الرأي العام هنا النصر الذي رافق ابراهيم باشا شؤماً على جيوش السر عسكر حسين باشا، التي يقال انها وصلت الى القرب من حلب . ورجوح كفة ابراهيم باشا يحزن هذه الشعوب لان المسلمين مستأؤون منه . واطن ان هذا الاستياء بدأ يشمل المسيحيين ايضاً

٢ - اميال السوريين - ولما كنتم قد شرفتموني بالسؤال عن رأيي في حالة سوريا الحاضرة واميال سكان هذه البلاد المجتاحة اتجراً بان اصرح لكم ان جميعهم كانوا قد ملوا ظلم الحكم الماضي واصبحوا متشوقين لرؤية الجيوش المصرية أملاً في ان يحكموا بحسب النظام والعدالة التي اشتهر بهما محمد علي . ولكنهم لم يروا من ابراهيم باشا سوى مظاهر المروءة والحلم والشهامة وهي خصال شخصية تدل على اخلاق راقية . بيد ان عجرفة بعض الموظفين، الذين خولهم تنفيذ اوامره، كادت تمحو تأثير هذه الخصال الحميدة . وبما ان كل شيء كان يدور على محور هذه العجرفة، المصحوبة باحتقار كل انسان، اصبح كل امرى يرى نفسه مذلولاً مغشوشاً . وهذا سر الانقلاب الاول ضد الحكومة الحاضرة

وان قلت اني مسرور من الاكرام الذي لقيته من سعادة ابراهيم باشا فهذا لا يعني ان كل طلباتي العادلة لقيت منه اذنأ صاغية . لان اغلبها لم ينته بنتيجة مرضية، حتى الرسمية منها . ومع ذلك فانا

اجتهد ان اكيّف موقعي بقدر الامكان، آملاً بتحسّن الحال في المستقبل

واذا استثنينا الحوادث السياسية والحربية لا يوجد هنا سوى تضارب في التكهّن ورجم في الغيب عما سيحدث في المستقبل .
وانا اعدكم بان اطلعكم على كل شي في حينه وابلغكم اياه بالطرق التي ترسمونها لي

٣ - اخلاق عبدالله باشا - واعدود الآن الى خلاصة حكايتي مع عبدالله باشا . ولما كانت طويلة، مهملتها رغبت في الاختصار، ارجوكم ان تحلموا علي وتعدروني في الصراحة التي اتوخاها في الكلام .
أحيط عبدالله باشا منذ صغره بأثرة الشريعة الاسلامية فنشأ على التعصب الديني . ولدي براهين عديدة تؤيد قولي هذا لا حاجة لسردها هنا . ولقد كنت اول من خبر ذلك . فقد حرمني من دون سبب آخر سوى التعصب الديني، الامتيازات التي منحنيها سليمان باشا جزاء خدماتي الكثيرة . واخذ هذا الشعور ضدي يزداد يوماً فيوماً الى ان كانت السنة ١٨٢٢، التي وجد فيها نفسه مهدداً من درويش باشا بالحصار . فبناء على اشارة والدته، التي كانت عالمة بخدماي الجلي لسليمان باشا سلفه، استدعاني اليه واستشارني فيما يجب عمله في هذه الحالة الحرجة . ومع انه لم يكن هناك ما يحملني على اخلاص النصيح له فقد قابلت سلوكه السيئ، نحوي بما توصي به المبادئ المسيحية . فهي لا تسمح لاي كان ان يخدع من يطلب منه المشورة باخلاص . وافتخر اني اشرت عليه ان يلتجئ في تلك الظروف الحرجة الى محمد علي باشا وان يضع نفسه بين يديه فيرضي

الباب العالي عنه . وقد اكدت له حينئذ ان مروءة سعادته (محمد علي) ستحملة بلا ريب على الاخذ بيده . فمع ميله الى سوء الظن قبل نصحي واطهر استعداد له للعمل به . ولو اني اطعته لافدني بصحبة والدته لاجل سعادته على مساعدته . وقد كنت عند حسن ظني بسعادة محمد علي باشا لانه حالما علم بالامر تنازل للاخذ بيده^١

واصبحت من جراء ذلك صديقاً لعبدالله باشا الى حين ما . وقد كنت قبلاً لا اجد منه سوى مناوآت من كل الانواع . فاخذ من ذلك الوقت يفيض علي الوعود الكبيرة ويشر كني في المشاريع العظيمة، التي لم يتم واحد منها . ولا ارغب في الكلام على خدمات غير هذه قت بها له ولكني ارسم لكم صورة حقيقية تمثل طبعه المتقلب

تعرفون ان عبدالله باشا قد احتكر تقريباً كل المحصولات . بيد انه كان يتملص من شروط الاتفاقات التي يعقدها ويغيرها على هواه، اذا اقتضت مصلحته ذلك . ولم يكن يحافظ قط على مواعيد الاستحقاق . وكانت ادنى شكوى ناتجة عن حسد او غرض تفعل فيه فعلها . فيتسابق موظفوه الى تحريك اطماعه، ولم يكن بدُّ من اشباعها . وفوق كل هذه الاحوال غير الملائمة للتجارة كان علينا ان نجاهد ضد كتيبه . وكانوا يزاحموننا في كل الاعمال

(١) ان عبدالله باشا كلف حينئذ الامير بشير حاكم لبنان هذه المهمة . فجاء الى مصر سنة ١٨٢٢ ونجح في مأموريته، كما جاء شرح ذلك في تاريخ الامير بشير الذي نشرناه (ص ١٧)

التجارية . ولم يكن في الامكان اطلاعه على هذه المزاحمت غير المشروعة، لانه سريع الانقلاب، يميل الى كل فتان . كل علاقتي التجارية مع عبدالله باشا كانت تحت تأثير هذه العوامل . اما الصفقات العائدة علي بالخسارة فكانت شروطها غير قابلة التغيير . واكتفي بذكر واحدة منها خاصة بشراء غلال خسرت فيها ١٥٠ الف غرش، لانه لم يقم بتسديد القسط الذي تعهد به . وما زلت شاعراً الى الآن بنتائج الخسارة ومضطراً ان اقابل الاحتجاجات (بروتستو)، التي ترفع ضدي لتسديد جانب من ثمن اقطان اشتريتها لحساب عملائي . فقد الغى ظمناً العقد المختص بهذه الصفقة

ولما كنت دائماً اعلل النفس بوعوده العرقوبية اصبحت «خزنته» مدينة لي على الدوام بمبلغ يزيد عن الثلاثمائة كيس . وقد تجمع المبلغ المذكور من نقود اقرضته اياها ومن مجوهرات وغيرها ابتعتها لحسابه . وكنت اقوم بهذه الخدمات دون ان يكون لي من ورائها ادنى فائدة، بل كانت تجر علي دائماً الخسارة . وربما اقتنعتم من عدالة مطالبي لو علمتم ان كل هذه المبالغ كانت تعاد الي بعد مدة طويلة، اي بعد ان تكون ارباحها قد ذهبت ادراج الرياح وثقلت بفرق العملة، لتقلب النقد التركي المستمر

هذه الخدمات كلها لم تكتسب لي صداقة عبدالله باشا ومعرفته للجميل، ولا حمتني من هيجان غضبه . وانتم تعلمون ما قاسيت منه في السنة ١٨٢٨، وكيف خسرت فيها مبلغ ٣٧٦٤٤٠٢٦ غرشاً، لاتلافي تهديده، الذي ارسله الي بكتاب امضاه بيده وهو محفوظ عندي الى الآن، وفيه يبيح للعامة اموالي وحياتي وعرضي . وهذا

المبلغ ثمن مجوهرات وخاتم وخسارة فرق العملة وقد اوجب علي
تقديمها كقرض اجباري

فقدت نفسي بهذه المجوهرات وظللت في خوف ووجل الى مجي
حضرة الكافالير بروكسك^١ الذي خفف عني مخاوفي واستجلب لي حماية
رؤسائي . وقد عازمت بعد هذه الحادثة على الابتعاد عن عبد الله
باشا بقدر الامكان وقررت السكنى في الناصرة مع عائلتي . وقطعت
كل علاقتي مع « الحزنة » خوفاً من الوقوع للمرة الثانية في حبال
المذكور وحسد المزاحمين الكثيرين . ومع ذلك لم انج من معاكساته
بطرق تختلف عن الاولى حتى اضطرت ان اطلب من رؤسائي نقلي
الى بيروت . ولبثت اكرر هذا الطلب حتى وصول الجيش المصري
الى هذه الجهات

١٧

فتح حلب وبيروت . آمال السوريين

الناصره في ١٠ آب ١٨٣٢ . (عن الايطالية ص ٦٦)

الى الكافالير اشربي بالاسكندرية

ابعث اليكم بنشرة تعرفون من فحواها باية سهولة دخل الجيش
المصري حلب^٢ وقد بلغنا امس خبر استيلائه على بيلان^٣ وهو مكان

(١) Prokesck

(٢) يقول في ص ٦٨ من السجل ان « ابراهيم باشا دخل حلب في ١٥ تموز »

(٣) مضيق فوق ثغر الاسكندرونة في جبال طوروس يفصل سهول سوريا

الشمالية عن بلاد الاناضول ويعد مفتاح الاناضول

غير بعيد عن حلب . وكان هذا الخبر مصحوباً بنشرة تنبي عن توجه ابراهيم باشا من هناك الى ادنه بجيوش جرارة . ولا بد انه يطمح الى فتوحات جديدة والى الاقتراب من العاصمة . وعلى ظني ان مشروعه وعر المسلك . والجميع مشتاقون لمعرفة نتيجة التقاء العمارتين المصرية والعثمانية

ترى المسلمين غير متأثرين من هذه الانتصارات الباهرة، لا بل يجاهرون بعدائهم للحكومة الجديدة . وقد ذهب آمال المسيحيين فيها ادراج الرياح بعد ان رأوا السعادة الموجودة في مصر تقترب منهم . . . وقد تحققوا الآن ان الحكومة الجديدة تسعى في ان تدخل الى سوريا احتكاراً اشد مما كان في عهد عبدالله باشا . ان تم هذا الامر فقل على التجارة السلام

١٨

موظفو الحكومة المصرية

صيداً في ٢٦ شباط ١٨٣٣ . (عن الايطالية ص ١٠٥)

الى الكافالير اشري قنصل النمسا في الاسكندرية

ان صدقنا بعض الاخبار الواردة من فرنسا، فالدول الاوربية

(١) الاستانة

(٢) يقول هذا على سبيل التهكم

(٣) انتقل انطون كتافاكو الى صيدا في تشرين الثاني سنة ١٨٣٢ حيث شغل مهام القنصلية النمساوية والروسية والفرنسوية كما كان في عكا . فاقترب من الحوادث التي كانت تقع في لبنان وجواره . وقد وجدنا له كتاباً مؤرخاً في ٢٦ تشرين الاول

ستدخل قريباً في الخلاف الواقع بين محمد علي والباب العالي وتلعب دورها فيه . ويظهر ان هذا التدخل قريب . ومهما تكن النتيجة فالمرجح عند الرأي العام ان سوريا ستبقى لحكومة مصر . وستتمكن هذه البلاد من ان تنهض من سباتها وتعود الى مجدها السابق . ومع ان النظام لم يحل فيها بعد تماماً فسكانها يتوقعون مستقبلاً زاهراً

ونرجو ان لا ينجيب املهم بعد ما قاسوه في العهد السابق من المظالم والتضحيات . وللوصول الى هذه النتيجة يجب على الحكومة الجديدة ان تفكر بتنظيم دوائرها وان تنتخب موظفين افضل من الحاليين . فقد ابقت تقريباً كل الموظفين القدماء في مناصبهم بدون تمييز بين الصالح وغيره . واتجاسر فاقول انها لم تحسن عملاً في ذلك ، لان الجميع يتشكون من استبداد هؤلاء الموظفين وخاصة المدعو ميخائيل العورا الذي يشغل الآن لدى الديوان افندي المنصب الذي كان له في عهد عبدالله باشا . لقد تعود ميخائيل المذكور ان يظلم البري ، والفقير ليحلب المياه الى طاحونه . ولم يعد يخاف ان يُقص جناحاه كما كان يفعل به عبدالله باشا من وقت الى آخر ، ليمنعه من ان يطير أعلى مما هو لازم . ولما كان الديوان افندي حديث

من هذه السنة أصدره من الناصرة واول كتاب وجدناه مرسلًا من صيدا عليه تاريخ ١٩ تشرين الثاني . ويقول انه هجر عكا لخراب بيته فيها ونهب اثاثه وسجلاته وانه بنى بيتاً في صيدا لسكنه الخاص

(١) هو والد ابراهيم العورا صاحب تاريخ سليمان باشا والي عكا، الذي نشره

اخيراً الخوري قسطنطين الباشا

(٢) اعني ليستفيد من كل فرصة

العهد في هذه البلاد، فهو يشق بالمذكور ثقة عمياء . وهذا يرتكب
المظالم باسمه بلا خوف ولا وجل، ويعرف كيف يتدبر لكي تصادف
مشاريعه نجاحاً . ويتوصل الى مرغوباته بواسطة حلقة طويلة من
الموظفين مرؤوسيه المخلصين له، الذين يثنون امام الديوان افندي
على كل اعماله . ولئلا يشكل على سعادتك الامر لا بد ان تعلم
ان اخاه جبرائيل هو الكاتب الاول في صيدا وان له اخاً آخر
كاتباً اول في مقاطعة تبنين وملحقاتها . وان عديله حبيب نور
كاتب يافا، وان قريباً له يدعى قسطه سيرافيم يشغل وظيفة كاتب
اول في اورشليم . فيمكنك ان تتصور سيدي مقدرة هذا الرجل
على الشر بمعاونة اقاربه الكثيرين الموظفين في دوائر الحكومة . فلا
يستطيع انسان ان يقترب من الديوان افندي قبل ان يقدم رشوة
ما للمذكور . ولكل طلب فئة معلومة . فيضطر الملتزمون ان
يكافئوه ويشر كوه في جزء من ارباحهم دون ان يلتزم هو بخسارة
ماء، اذا كانت هناك خسارة . وخلاصة القول ان مظالمه يومية ولا
يجسر احد ان يشكوه لئلا يحل به عقاب صارم . وهو يكره
الافرنج ويحتقرهم مهما كانت منزلتهم، حتى المتطوعين منهم في خدمة
الجيش المصري . . . ونظراً لمنزلتكم العالية لدى الحكومة المصرية،
ارجو ان تعلموا حضرة الخواجا يوسف بوغوص بامر هذا الرجل
وتفيدوني عن النتيجة

١٩

تجارة صيدا

صيدا في اول تموز ١٨٣٣ . (عن الايطالية ص ١١٨)

الى الخواجا بيتشوتو قنصل النمسا في حلب

يسوءني ان تكون صيدا ثغراً صغيراً للتجارة وان تكون
محصولاتها محصورة في قليل من الحرير والدخان . وقد كان محصول
هذه السنة من الصنف الاول شحيحاً، يكاد يبلغ نصف محصول
السنين السابقة . وهذا ما حمل اصحابه على التمسك باسعاره وعلى
طلب ١٥٠ الى ١٦٠ في الرطل . ولكن آمال التجارة حبطت لما
شهرت الحكومة المصرية ارادتها في شراء محصول سوريا كلها من
الحرير . وعلمت انها تنوي احتكار كل منتوجات البلاد . فان
اقدمت على هذا الامر اضررت بمصلحة الملاك كلهم وعطلت كثيراً
على التجار واصحاب المراكب

اما البناؤون فقد طلبوا جميعهم لسد حاجة الحكومة حتى ان
عمالها ارادوا ان يأخذوا البنائين المشتغلين في بنايتي الجديدة

٢٠

اضطراب الحرير والظن . التخبير

صيدا في ١٤ كانون الاول ١٨٣٣ . (عن الايطالية ص ١٢٠)

الى الكفالاير اشربي قنصل النمسا في الاسكندرية

ابراهيم باشا موجود الآن في طرابلس . وقد سمعت انه ينوي

تمضية شهر رمضان هنا وانه يفكر ان يجعل مركزه في صيدا بعد ان يصلح ميناءها . ان فعل ذلك نهضت تجارة هذا الشجر من كبوتها، الا اذا قيدت بالاحتكار

كنا واجسين من ان يحتكر ابراهيم باشا محصول الحرير كله . وقد اكتفى لحسن الحظ بعشرين الف اقة منه . وكان قد اثار ايضاً خوفنا على القطن وأمر بادخال كل محصول صفد ونابلس منه الى مخازنه . ومع انه اصدر الاوامر المشددة بهذا الخصوص وتهدد المخالف باللومان، ولو اشترى درهماً واحداً منه، فقد عاد الآن الى سحب هذه الاوامر، كأنه خاف هياج الافكار . فللزراع الآن الحرية ان يبيعوا اقطانهم لمن شاؤوا . ولكن الى الآن لم يتجاسر تاجر واحد ان يتقدم لشراء هذا الصنف، لتمسك ثمنه ولعدم تأكدهم من الحصول على الاذن في تصديره الى اوربا

لو عرف عبدالله باشا كيف يستجلب هذه الشعوب اليه، وخصوصاً سكان جبل لبنان ونابلس واورشليم، بدلاً من ان يحملهم جميعهم على معاداته، لتعسر على الجيش المصري دخول فلسطين . لكن روح الشعب كانت قد زهقت من المظالم واصبح يعلى النفس بالرفاهية والراحة تحت حكم محمد علي وينتظر بفروغ صبر نهاية هذه الحال التعسة ومجيء ابراهيم باشا وسقوط عكا

وقد ادرك الشعب الان خطاه بعد ان سبق السيف العذل، واصبح واثقاً انه بعيد عن ان يقاسم الشعب المصري سعادته . . . فتحولت عند ذلك الحماسة فيه الى كره، سواء كان بين المسلمين او المسيحيين، وخاصة دروز لبنان . وقد تألفت في هذا الجبل احزاب

تميل الى الحكومة التركية القديمة واشتد استياؤها بعد ان شاع ان ابرهيم باشا يعمل على زيادة الضرائب في كل البلدان . وسمعت انها تقرر ان تكون من ٢٥ الى خمسمائة غرش

الامير بشير سالك بسياسة مع الحكومة الجديدة، لكن الامير خليل، احد انجاله، يجاهر باستيائه من النظام الجديد . وسينضم اليه كثيرون . لان عبدالله باشا سافر الى مقر ولايته الجديدة في ادرنه . وكان هذا المنصب من اكبر المناصب في الدولة العثمانية . واصبح المرجح عند الكثيرين ان يعود عبدالله باشا الى سوريا . وبدأ بعضهم يتمنى ذلك، مما يدل على تقلب الانسان

انا لا اعتقد ان ابرهيم باشا ناجح في تجريد كل الامة من السلاح، وخاصة سكان جبل لبنان وناپلس واورشليم . وليس من يجهل انه لأهون على هؤلاء تسليم نسائهم من تسليم سلاحهم . وارى انه سيجد صعوبة كبيرة في تجنيد عدد كبير من الشبان ليؤلف منهم آليات النظام . فقد نجح في حلب الى حد محدود، فجنّد الف شاب، منهم اولاد بعض أسر وجيهة . وهم بمثابة ضمان لخضوع هذه المدينة للحكومة الحديثة . وبعد ان سافر هؤلاء المجندون من حلب لم تطق والدّة احدهم صبراً على فراق ابنها فقصدت الى ترسوس وواجهت ابرهيم باشا نفسه وفي يدها بعض اكياس من المال . فلم يلبّ ابرهيم باشا طلبها وحاول ان يهدئ روعها ويقنعها بان ابنها على احسن حال وانه اجدر بالחסد من الشفقة

ولم يمض وقت طويل حتى اكتشفت في حلب مؤامرة على الحكومة الجديدة سجن على اثرها جملة اشخاص وحكم بالاعدام

على احد وجهاء الانكشارية وهو ابن عبد الرحمن الصياب صبحي .
وُحُكَم باللومان سنين عديدة في قلعة عكا على خمسة اشخاص من
الاعيان (السيدا ؟) منهم ابن الحربلي

٢١

تنصيب عبد الله باشا على ولاية ادرنه

صيدا في ٤ كانون الاول ١٨٣٤ . (عن الايطالية ص ١٤٥)

الى الكافالير پيتشوتو قنصل النمسا في حلب

يؤكدون ان عبدالله باشا سافر الى الاستانة في مركب حربي
أُرسل الى الاسكندرية بأمر خاص من السلطان . وان سعادة الخديوي
اهدى اليه في هذه الفرصة مبلغ عشرة الاف كيس . وكان نزوله
الى البحر باحتفال عظيم . وقيل ان السلطان عينه والياً لادرنه وهو
المنصب الاعلى في الدولة العثمانية بعد الوزير الاعظم وقبطان باشا

٢٢

ترميم عكا . الجاسوس التركي

صيدا في ١٤ آذار ١٨٣٤ . (عن الايطالية ص ١٥٧)

الى الكافالير پيتشوتو قنصل النمسا في حلب

ان الحالة الصحية في سوريا كلها على ما يرام . اما ابراهيم باشا
فقد توجه الى طبريه ومنها الى الحمامات المعدنية . وقبل ان يترك
عكا اوصى ان يُعجَّل ترميم الجامع الكبير والحمام الكبير وغيرها
من مباني هذه المدينة

وصل من الاستانة الى طرابلس احد الاشخاص من ذوي
الوجاهة مصحوباً بتتر حقيقي . وسار من هناك قاصداً الامير
بشير . ولم يكد يصل عنده حتى استدعاه ابراهيم باشا وحكم عليه
حالاً باللومان وأودع التتر السجن
ووصل من الاستانة ايضاً ٢٢ تترًا يقال انهم حاملون موافقة
السلطان على تولية ابراهيم باشا لسوريا

٢٣

زيارة ابراهيم باشا الامير بشير

صيدا في ٧ نيسان ١٨٣٤ . (عن الايطالية)

الى الكافالير پيتشوتو

ابراهيم باشا مقيم الان في الناصرة في بيتي القديم وقد سمعت
انه ينوي ان يزور الامير بشير بعد قليل . وفهمت ان الامير غير
مرتاح الى هذه الزيارة . . .

٢٤

ثورة فلسطين

صيدا في ٢٥ حزيران ١٨٣٤ . (عن الفرنسية^١ ص ١٦٢)

الى الكافالير پيتشوتو قنصل النمسا في حلب

طلب ابراهيم باشا من كل البلاد الخاضعة له شباناً ليجعلهم في

(١) تعود انطون كتافاكو ان يكتب الى پيتشوتو قنصل حلب بالايطالية .
لكنه يقول انه اضطر الى الكتابة بالفرنسية لغياب المسيو برنار (Bernard) الذي

النظام'. وقد دفع له سكان السامرة واورشليم وحبرون من ٥٠٠ الى ٥٠٠٠ غرش عن كل شاب مطلوب للقرعة . ولما لم يستطيعوا ان يثنوا عزمه رفعوا القناع عن استيائهم واصلوا جميعهم الثورة، عازمين على ان يموتوا هم واولادهم قبل ان يسلموا نظاماً واحداً . ولما علم سعادته بالامر وكان خائفاً من اورشليم ترك يافا في ١٠ الجاري على رأس سبعمائة رجل . وما كاد يخرج من المدينة حتى رأى نفسه مضطراً ان يحارب على الدوام لكي يرد عنه عصابات الشوار المحتشدة على طريقه . ولم يصل الى اورشليم الا بعد ان فقد نصف رجاله تقريباً . وكانت هذه المدينة قد وقعت في ايدي العصاة ما عدا القلعة التي بقيت في حراسة فلول الحامية المصرية . ولكن الشوار حالما سمعوا صوت المدافع هربوا ولم ينتظروا العدو بل تركوا المدينة واحتموا في الجبال المجاورة . وكان آلاي من المشاة آتياً من دمشق، وفيما هو يجتاز سهول حبرون ليلتحق بالباشا، انقض عليه السامريون وبادوه على بكرة ابيه

وتجراً بعض هؤلاء الشوار وهاجموا عكاليلاً وما بلغوا الى الاسوار حتى قابلتهم المدافع بنارها الحامية . ولما لم يكونوا على خبر من مفعول هذه المدافع ارتدوا على اعقابهم وتخلوا عن مهمة اقدموا عليها بدون ترو ولا نظام

يظهر انه كان كاتماً لاسراره ومنشئ التقارير السابقة . وتجد صورة هذه الرسائل مكتوبة بخط غير واضح بخلاف ما سبقها والناسخ لا يجيد الافرنسية للاغلاط التي يرتكبها . ويظهر من طريقة الخط المستطيل ان الكاتب سيدة او آنسة

(١) اي في العسكر النظامي الذي انشأ والده محمد علي ونال به انتصاراته الباهرة . وتطلق كلمة نظام ايضاً على هؤلاء الجنود

ومنذ ذاك الحين يطوف الشوار حول هذه المدينة وحول مدينتي حيفا ويافا، وقد اجبروها على اغلاق ابوابها . وبدأ سكانها يشعرون بمجاعة شديدة . وكان الكثيرون منهم قد استأجروا مراكب ليهربوا بها الى جهات اخرى فاعتضت دونهم السلطة في ذلك . ويصل الشوار احياناً الى نواحي صور، حيث نهبوا اخيراً بعض المواشي ودقيقاً مخزوناً فيها ليشحن الى عكا . وقد دمروا كل الطواحين ويؤكدون ان سعادة ابراهيم باشا محصور في اورشليم مع بقية جيشه وانه بدأ يشعر بالمجاعة وان سعادة خديوي مصر يتحفظ للمجيء بنفسه مع كل الجيش لمعاينة العصاة

اما جبل لبنان فلم تبد منه الى الان ادنى حركة . وفي رأيي انه يمكن استمالة الى جانب الحكومة المصرية لو أعفي من الضريبة وخصوصاً من التجنيد، وهو في نظره اعظم من كل ضريبة هذا هو تقريرى يا حضرة القنصل عن الحوادث المحزنة التي وقعت في هذه الجهات وقد تجده مختصراً لكنه دقيق . بقي علي ان اطلعك على حادثة حزنتني اكثر من غيرها ولا استطيع ان اقدر الان عواقبها

ان نجاح الشوار قد جرّاً الا تراك المقيمين في صفد وطبرية . فهجموا على الاسرائيليين وعاملوهم بقساوة عظيمة . فأهل صفد ثاروا في ١٤ الجاري وخرّبوا كل بيوت الاسرائيليين بدون ان يميزوا بينهم وبين رعايا جلالة مولانا^(١) والذين تحت حمايته . وقد اعتدوا على

(١) كان بيتشوتو اسرائيلياً

(٢) المسلمين

(٣) امبراطور النمسا

خمسة اشخاص، بينهم امرأة، اعتداءً شنيعاً يندى له الوجه حياء .
 اما اهالي طبريه فقد كانوا اكثر تعقلاً . وربما خافوا عواقب جسارتهم
 فاكثفوا بان يفرضوا على الاسرائيليين خمسين الف غرش . فقد
 اجبروهم على ان يقدموا لهم يومياً كمية من المأكول و ١٥٠ مداً من
 الشعير

استقيت هذه المعلومات ممن اثق به تمام الثقة . وانا في انتظار
 تقرير الرابان جرحو وراي اسرائيل، وكيلي رعايا النمسا والذين
 تحت حمايتها، لكي اقوم بالمساعي التي تتطلبها هذه الحوادث

٢٥

وصول محمد علي باشا الى يافا . نوبه الامير بشير
 على نفور سوريا وفلسطين

صيدا في ٧ تموز ١٨٣٤ . (عن الفرنسيه ص ١٦٦)

الى الكافالير بيتشوتو في حلب

الحمد لله ! فقد وصل خديوي مصر الى يافا في اول الجاري
 وكلف الامير بشير حكم ومراقبة كل المدن البحرية من اللاذقية
 حتى يافا بما فيها صفد وطبريه والناصره وملحقاتها . وامره بالتوجه
 الى صفد بجيش مؤلف من خمسة عشر الف رجل، واعداء اياه ان
 يعفي بصورة دائمة سكان لبنان من دروز ومسيحيين من الفرده'
 والتجنيد

هذه التدابير قد لا تتفق مع النشرات الرسمية التي بلغتني انا

وجميع حكام السواحل عن الصلح المعقود مع العصاة . وقد أعلن
خبر هذا الصلح بضرب مدافع ميناء صيدا
ويؤكدون ان الامير (بشير) سيكون هنا بعد غد على
الاكثر . وسانتهز فرصة مجيئه الى هنا لاقابله واوصيه خيراً بالاسرائيليين
الى ان تسمح لنا الاحوال بمحاكمة الجناة

٢٦

افراد العصاة

صيدا في ٣١ تموز ١٨٣٤ . (عن الفرنسية ص ١٦٧)

الى الكافالير بيتشوتو قنصل النمسا في حلب

لم اقصر يا حضرة القنصل عن اعلامكم بدقة، في تقاريري
المؤرخة في ٢٥ حزيران و٧ تموز، بالحوادث التي وقعت في نابلس
وصفد، وعماقمت به من المساعي التي رأيتها ضرورية لتأمين
الاسرائيليين التاعسين في صفد على ارواحهم

منذ ذاك الحين مر الامير بشير ازاء صيدا وصحبته سبعة الاف
رجل من الجبل . وقد قابلته وقت بما يفرضه علي الواجب من
التوصية الشديدة بالاسرائيليين عامة وبرعايا مولانا الاعظم ومن هم
تحت حمايته خاصة . وعرضت عليه ان ارافقه الى صفد فتعلل بمشقة
السفر و اشار علي ان انتظر منه علماً بعد وصوله الى هناك فارسل
اليه شخصاً اختاره

وفي الواقع لما علمت بخضوع سكان هذه المدينة اسرعت في
ارسال ابني اسكندر الى هناك . وقد كتب الي لدى وصوله بما

ينعش الآمال بتحسّن الحال وسيرها بحسب مرامنا

أما من جهة المسلمين الذين أوصاني بهم رؤساء الطائفة الاسرائيلية هناك فساكتب بكل ارتياح توصيات بخصوصهم الى الباشا والى صديقي الشيخ حسين عبد الهادي . الا اذا اتضح ان لهم ضلعاً بشورة صفد فلا يمكنني ان اعرض ذاتي لرفض طلبي . على كل حال فاحدهم سليم اغا قد قبض عليه وزج في السجن . واظن انه سينال ما ناله غيره من الاعيان ، الذين يقتل منهم يومياً اثنان وثلاثة رمياً بالرصاص وقد آل حضور الامير بشير الى خضوع العصاة في صفد وضواحيها . ولم يكن الصلح الموهوم الذي ذكرته في تقريري السابق سوى خدعة حربية

أما نابلس فلم تقع في قبضة ابراهيم باشا سوى من بضعة ايام . وقد خضعت بعد معركة دموية هائلة وبناء على وعود الشيخ حسين الخلابة . ولو عامل الظافرون المقهورين بشي . من المروءة لكانت البلاد الثائرة خضعت الان كلها . لكن الاعداء الذي يتكرر يومياً حمل سكان حبرون وجبال اورشليم على مواصلة القتال حتى الموت . وسيلاقون نصيب الذين سبقوهم

أما سعادة محمد علي باشا فقد كان في نيته على حسب ظني ان يأتي الى عكا وان يقوم بزيارة كل مدن سوريا . ولكنه تلقى اشارة من مصر اضطرته ان يقفل راجعاً الى الاسكندرية بطريق البحر منذ اثني عشر يوماً . ويقال ان وصول شخص عالي المقام من الاستانة الى مصر جعله يعزم على هذا الرجوع الفجائي

وقد اظهر المسلمون من سكان الناصرة نيتهم الشريرة ان يفتكوا
بأخي وابني لويس وسائر المسيحيين . ولحسن الحظ ان الاحتياطات
الشديدة التي اتخذها المسيحيون قد حالت دون رغبتهم . اما سعادته
فحالما علم بالامر ارسل الى هناك فرقة من المشاة واخرى من الخيالة
للقبض على العصاة

٢٧

معركة حبرون

صيدا في ٢٠ آب ١٨٣٤ . (عن الفرنسية ص ١٧٠)

الى الكافالير بيتشوتو قنصل النمسا في حلب

لقد تمكن سعادة ابرهيم باشا منذ ايام قليلة ان يُخضع عصاة حبرون
وجبال اورشليم بعد معركة دموية وقعت بين اورشليم ومدينة حبرون
دامت ثلاث ساعات ، سالت في اثنائها الدماء انهاراً . وعلى اثر هذا
الانتصار دخل سعادته مدينة حبرون وقبض على كثيرين وعاقبهم .
ثم استأنف السير على رأس ثلاثة الاف خيال متعقباً قاسم الاحمد
وغیره من رؤساء الثوار، الذين لجأوا على ما يقال الى قلعة الكرك
اما الامير بشير فما زال في ضواحي صفد . وقد اصبح اهل
هذه المدينة عزلاً من السلاح اسوة باهل نابلس وحبرون واورشليم
وغیرها من المدن . ويؤكدون ان اربعين الف بندقية قد ارسلت
حتى الان الى عكا، فضلاً عن البنادق التي تعطلت

وقد كتب الي ابني اسكندر انه استرجع تقريباً نصف خسائر
الاسرائيليين ، وانه لولا هرب خمسة او ستة الاف مسلم حاملين ما

غنموه من الاسرائيليين، ^١ لكن الامير اتخذ كل
التدابير لمعرفة مخابئهم
ولما لم يعد لسعادة ابراهيم باشا ثقة بموظفي العهد السابق امر
بطردهم من كل البلاد الخاضعة له

٢٨

معاقبة الثوار ومطافاة البنايين

صيدا في ٥ تشرين الاول ١٨٣٤ . (عن الفرنسية ص ١٧٥)

الى الكافالير اليان بيتشوتو

لقد خدم السعد ابراهيم باشا خدمة غريبة فهو لم يتغلب على
جميع اعدائه فحسب بل تمكن من القبض بنفسه على العدد الاكبر
من رؤساء الثوار الهاريين . وكان قاسم الاحمد واولاده وجرار أغلو
وغيرهم من المشايخ قد تمكنوا من الافلات . لكن عرب العترة
الذين لجأ المشايخ اليهم أملاً ان يكونوا عندهم في مأمن من كل مطاردة،
خانوا حقوق الضيافة التي كان لها حرمة كبيرة الى الآن، وقبضوا
على المشايخ المذكورين وارسلوهم الى ابراهيم باشا . فدفع المذكورون
برؤوسهم ثمن جسارتهم . وقد امسك البدو اخيراً شيخ الكرك واخاه
وقادوها الى اورشليم، حيث قطع ابراهيم باشا رأسيهما في الحال
ثم ان جميع العلماء ائمة الدين الموجودين في اورشليم وفي كل مدن
سوريا تقريباً قد أركبوا البحر في عكا وارسلوا لانتقام دروسهم في
لومان^٢ ابي قير بمصر

(١) قبيلة شهيرة من البدو

(٢) سجن مؤبد

واستولى الرعب على جميع سكان الناصرة حتى انهم سلموا اسلحتهم بدون تردد ولم يشذ عنهم سوى النصيرية . فسافر سليم بك الى طرابلس لمعاقتهم

فسعادته، اظهاراً لرضاه عن خدمات الامير بشير وجماعته، سمح لهم بان يحتفظوا باسلحتهم، على شرط ان يكونوا على اهبة الذهاب الى الحرب عند اول اشارة تصدر اليهم . وبما انه سمح للامير بشير وحاشيته بالعود الى جبلهم فقد اضطر ابني اسكندر ان يترك صفد . لان سفر الامير افندي من هذه المدينة حرمه كل وسائل المطالبة بمسلوبات الاسرائيليين . وخصوصاً ان ما بقي منها من مال ومتاع اصبح في ايدي الهارين

٢٩

سفر الامير خليل الى اللاذقية

صيدا في ٢٠ ت ١٨٣٤ . (عن الفرنسية ص ١٧٤)

الى الكاڤالير بيتشوتو

الباشا موجود من بضعة ايام في دمشق حيث يجمع جيوش الساحل . ويؤكدون انه قد اصدر امره الى الامير بشير بان يلحقه الى هذه المدينة مع فرقة من الجيش . وقد سافر الامير خليل على رأس ثلاثة آلاف من رجال الجبل قاصداً الى طرابلس فاللاذقية . وكل الدلائل تنبئ ان سوريا ستكون من جديد ميداناً للحرب

(١) واصطحب معه الامير خليل والبنانيين، كما جاء مشروحاً في مخطوطة القس انطون شراباتي راجع ج ١ ص ٤١ وما يليها من كتابنا « حروب ابراهيم باشا في سوريا والاناضول »

٣٠

أسرة باحث ونظام الدوائر المصرية في سوريا

صيدا في ٢٥ شباط ١٨٣٥ . (عن الإيطالية ص ١٩٢)

الى الخواجا فوسك^١ قنصل النمسا العام في ليثورنو

لقد تلقيت بالشكر توصيتكم بأسرة باحث^٢ الساكنة في شفاعمرو، لان هذه التوصية تسمح لي بخدمة حضرتكم وحضرة الاب الجليل الخوري ميخائيل باحث^٣. وقد كان المرحوم اسطفان باحث في خدمتي بعض المدة . ويشغل الان يوحنا باحث احد اولاده وظيفة كاتب اسرار لدى المدير او حاكم عكا، الشيخ حسين عبد الهادي . وهو من اصدقائي . وقد اوصيته بأسرة باحث واؤمل ان تعود هذه التوصية عليه بالفائدة المرجوة ان لم يكن عاجلاً فآجلاً . وارجو منكم ان تعلموا حضرة الاب المذكور انه اذا تأخر ظهور مفعول هذه التوصية فالسبب ليس تقصيراً مني بل من الطريقة التي تمشي عليها الحكومة الحالية في سوريا لانجاز الاعمال . فقد كنا في الماضي نفوز بسهولة بطلباتنا دون ان نضطر الى قرع ابواب كثيرة . اما الان فبعكس ذلك يجب ان يمر الطلب تحت انظار دوائر كثيرة تبدي رأيها فيه . ومن هنا ينتج التأخير والتسويق في الاعمال ورفض بعض الطلبات

(١) Fausck

(٢) Bâhûş

(٣) Rdo Don Micaele

٣١

التجنيد في لبنان

صيدا في اول تموز ١٨٣٥ . (عن الايطالية ص ٢٠٢)

الى المسيو انطون لوران^١ قنصل النمسا العام في الاسكندرية

مما يدعو الى الاسف ان لبنان يتمخض الان بثورة سببها اعلان التجنيد^٢ الذي يرغب ابراهيم باشا في ادخاله الى لبنان . ويقال ان الجبل متحد كله على مقاومة هذا القرار . فان لم يعدل سعاده عنه وصمم النية على تنفيذه سيكون بلا محالة سبباً لاضطرابات عظيمة في هذه الجهات

٣٢

اعتداء الجيش المصري للبنان

صيدا في اول ت ١٨٣٥ . (عن الايطالية ص ٢٠٧)

الى الخواجا اليان بيتشوتو

لا بد انكم سمعتم بمجيء سليمان باشا اي الكولونيل سيف^٣ من مصر الى بيروت موفداً من محمد علي باشا بصحبة الخواجا لابي^٤ ترجمان قنصلاتو النمسا في الاسكندرية، مفوضاً عن باقي القناصل الاوربيين هناك . وهما مكلفان مهمات كثيرة . منها

Laurin (١)

Sèves (٢)

Lapi (٣)

فض الخلاف الناشئ في سوريا بين القناصل والسلطين المدنية والعسكرية. وقضية التعدي على الاسرائيليين في صفد السنة الماضية. ويقال ان سليمان باشا كلف ايضاً تنظيم حقوق وامتيازات القناصل ووكلاء القناصل

ولم يكد سليمان باشا يباشر مهمته بفحص ما حدث في بيروت حتى دعاه ابراهيم باشا ليوافيه الى بعلبك على جناح السرعة فيصحبه الى جبل الدروز، الذي جرد عليه خمسة عشر او عشرين الفاً من الجنود المصرية

وقد استولوا من ليلة ٢٧ الى ٢٨ ايلول على دير القمر وبتدين دون ان يلاقوا مقاومة او يطلقوا طلقاً واحداً. وهذا ما يحملنا على الاعتقاد ان الامير بشير على اتفاق تام مع سعادته في هذا الصدد. وهم ينزعون الآن سلاح الدروز وبعض المسلمين الموجودين في دير القمر وجوارها. بقي علينا ان نعرف هل يعفى مسيحيو الجبل من هذا التدبير، وهل يتم نزع السلاح في كل مكان بهذه السهولة

٣٣

نزع سلاح اللبنانيين

صيدا في ١٢ ت ١٨٣٥ . (عن الفرنسية) عن طريق بيروت

الى انطون لوران مستشار الحكومة النمساوية وقنصلها في الاسكندرية

اتشرف بان افيدكم، ان لم تكونوا بعد على علم من ذلك، ان

(١) مقاطعة الشوف من لبنان الجنوبي

(٢) Laurin

جبل لبنان قد وقع تحت سلطة الحكومة المصرية . احتلته الجنود المصرية في ٢٨ ايلول الماضي من غير ان تلقى ادنى مقاومة . وهذا يدل على ان هذا الامر تم برضى الامير بشير واتفاقه مع ابراهيم باشا . وسعاده الان موجود في دير القمر حيث يراقب تزع السلاح من كل اللبنانيين من دروز ومسلمين ومسيحيين . حتى اذا انتهى من هذه المهمة اهتم بامر التجنيد الذي لا بد ان يتم بدون صعوبة

٣٤

الزلازل في سوريا

صيدا في ٧ ك ٢ ١٨٣٧ . (عن الايطالية ص ٢٧٠)

الى الكافالير بيتشوتو قنصل النمسا في حلب

مساء البارح انتشر هنا خبر زلزلة شديدة حلت في صفد وطبرية وجوارهما مسببة عن زلزال هائل حدث في اول الجاري . ولما كنت غير ميال الى تصديق الاشاعات التي لا تخلو من المبالغة ارسلت شخصاً خاصاً للوقوف على الحقيقة . لان الروايات التي بلغتني تنبئ بخسارة تسعة اعشار الاهالي والمنازل

وفقد في صيدا من جراء هذه الهزة اربعة او خمسة انفس وخربت بيوت كثيرة . وتهدم فيها المعسكر الفرنسي كله تقريباً . والخسارة في المال والارواح في بعض القرى اعظم من هنا

٣٥

الزلازل . تجارة حيفا وصيدا

صيدا في ٩ ك ٢ ١٨٣٧ . (عن الايطالية ص ٢٧٢)

الى الاسكندرية الى الخواجا درميركر^١ قنصل جلالة الملك في دمشق

لا بد انكم سمعتم انه في اليوم الاول من هذه السنة شعرنا في هذه الجهات بهزات زلازل عنيف وطويل . الى الان لم نعرف بالضبط الخسائر الناتجة عنه ولكننا سمعنا ان صفد وطبرية قد خربتا تقريباً ومات اكثر سكانهما . وقد فقدنا في صيدا بعض الانفس واصبح قسم كبير من البيوت غير صالح للسكن وحلت خسائر كبيرة بقرى كثيرة مجاورة لنا . ويقال ان ثلث البيوت في الناصرة قد سقطت . ولحق دير البشارة فيها عطل جسيم . والى الان ما زلنا نشعر بهزات

وقد بلغكم أنني، بعد ان مكثت في عكا ٤٤ سنة، اضطرت الى هجرها بسبب الحصار الذي أنزل بها خسائر جسيمة . ولم يعد ثمت مجال للعمل في مدينة قد اصبحت قلعة . فانتقلت الى صيدا التابعة لهذه القنصلية

وقد تحولت كل تجارة عكا بعد فتحها الى حيفا حيث عينت احد اولادي في وظيفة وكيل قنصل النمسا وامرته ان يهتم ايضاً بشؤون اصحاب المراكب والمارين من رعايا دولة الدنمرك . فان بعض المراكب الفرنسية والنمساوية والسردينية تقصد هذا الميناء لشحن

قطن عكا ونابلس الى اسواق اوربا . اما صيدا فتقتصر تجارتها على الدخان الصادر الى مصر وعلى قليل من الحرير . وهي تستورد بدلاً من هذين الصنفين بعض الاقمشة والارز وبعض المأكولات

٣٦

خسائر الزلازل في سوريا وفلسطين

في ١٠ ك ١٨٣٧ . (عن الإيطالية)

الى الخواجا لوران في الاسكندرية

اقدم لكم تهنئي بعيد رأس السنة الجديدة و كنت اشتهي ان يبدأ هذا العام بخلاف ما بدأ به . واراني مضطراً الى ان اطلعكم على النكبة الناتجة في هذه الجهات من هزات زلزال غير عادية شعرنا بها في اول الجاري قبل غروب الشمس ببضع دقائق وخلاصة التقارير التي بلغتني الى الآن ان اعظم الخسائر حلت في صفد، اذ لم ينج من هذه المدينة الغاصة بالسكان سوى اربعمائة نفس والباقون ذهبوا ضحية الزلزال . وقد هلك في طبريه اكثر من خمسمائة نفس وجرح نحو الاربعين . وكانت خسائر القرى الاخرى متفاوتة . وفقدنا في صيدا تسعة اشخاص وجرح فيها ثلاثة منهم السيدة قرينة الخواجا كونتي التي انكسرت رجلها . وتصدعت كل منازل المدينة وسقط نحو عشرين منها، واصبح كثير منها غير صالح للسكن

(١) راجع ما قلناه عن زراعة القطن في لبنان والجليل في كتابنا « فخر الدين

ودولة تسكانا » ٥١ : ١ و ٤٩ : ٢

(٢) يقول في ص ٢٧٦ « وقد مات الف وخمسمائة يهودي في صفد فقط »

سليمان باشا والخواجالايي سافرا في ٦ الجاري الى الناصرة ليلتحقا
 بابرهم باشا . وجاءت عائلتهما فسكنتا الطبقة الارضية من بيتي
 للعطل الذي طراً على منزليهما
 اما الحكومة فلم تبدِ حتى الان ادنى استعداد لمساعدة المنكوبين
 او على الاقل لتقديم الوسائل اللازمة لهدم المنازل المتداعية التي
 قد تجر معها اذا سقطت بيوتاً اخرى

٣٧

رطاب محمد علي باشا من السلطان

في ١٠ آذار ١٨٣٧ . (عن الايطالية ص ٢٨٨)

الى الخواجا بيتشتوتو في حلب

ربما علمتم بمجيء رامي افندي موفداً من الباب العالي الى مصر
 للاتفاق مع الخديوي على ما طلبه بان تكون ولايته للبلاد الواقعة
 الان في حكمه وراثية في اسرته . وهي بلاد مصر وسنار والحجاز
 وسوريا . وان يلتزم لقاء ذلك بتقديم مبلغ معلوم سنوياً للسلطان .
 اما علاقته مع الباب العالي فتصبح مماثلة لعلاقة السيادة التي تعترف
 بها ممالك الغرب الاقصى . ويقال ان هذا هو السبب الذي حمل
 ابرهم باشا على ان يقصد الى القاهرة لحضور المؤتمر الذي يعقد
 فيها لهذا الغرض

وقيل من جهة اخرى ان السلطان طلب من محمد علي ان يتنازل
 عن حلب وعن كل البلاد الواقعة بين هذه الولاية والاراضي الباقية

للباب العالي، وان محمد علي اجابه انه لا يتنازل عن قرية واحدة من ولايته الحاضرة. بقي ان نعرف رأي الدول الاوربية في هذه الامور. وسنعرف عن قريب نتيجة هذه المفاوضات

٣٨

التجنيد وطريقة

في ٤ ت ٢ ١٨٣٧ . (عن الايطالية ص ٣٢٣)

الى بيتشوتو في حلب

في ٣٠ من الشهر المنصرم وصل الى هنا سعادة سليمان باشا ومحمد باشا عائدين من حيفا حيث دعاهما ابراهيم باشا. وبهذه المناسبة علمنا ان سليم باشا انسحب من وجه عصاة جبل غور الاخضر. وان حاكم غزه انهزم ايضاً من امام عرب العنزة بدو الصحراء. وفي هذه الغضون بدأت في سوريا كلها حركة التجنيد الاجباري الجديدة. ويقال انها ستجمع سبعة الاف رجل. وقد جُند من صيدا وحدها خمسون شاباً

وكانت السلطة قد سلحت الف عسكري بالنبايت الغليظة. وفي ليلة ٢٤ تشرين الاول هجموا على كل منازل المدينة. ولم تمض ساعة حتى قادوا الى السراي اكثر من خمسمائة نفر من كل المذاهب. ونهبوا من البيوت ما وصلت اليه ايديهم، مما خف حمله وغلا ثمنه. وقيل انها تقدمت على اثر هذه الحادثة الى المراجع الادارية مطالبات

(١) من اشهر قواد حملة ابراهيم باشا وقد ذكره مراراً في كتابنا «حروب

ابراهيم باشا» راجع هذا الاسم في الفهرست

كثيرة بالتعويض، بلغت قيمتها زهاء مئة وخمسين كيساً . واقفلت الدكاكين ولم يعد في السوق خبز يباع، لان ليس من يجسر على الخروج من المدينة في طلب القمح خوفاً من ان يؤخذ للعسكرية اما ابراهيم باشا فقد شوهد يركب البحر من بيروت متجهاً الى شمال سوريا . ويرجح انه قاصد الى السويدييه

تسلم المدير الجديد منصبه . وهو الشيخ محمود عبد الهادي اخو المتوفى . اما محمد باشا فسافر من هنا في اول الجاري قاصداً الى حماة . وجرت ترقية كثيرة بين الضباط بسبب تأليف الآليات الجديدة . ويُنظم الان استعراض عام لجميع الجيوش النازلة بسوريا وسيقصد سليمان باشا لهذه الغاية الى بعلبك والى جهات اخرى . وقد أوفد بعض الباشوات للغرض نفسه الى اماكن غيرها . وسمعت ان مهمة سعادته تستغرق شهراً كاملاً

٣٩

ثورة حوران

في ٢١ ايار ١٨٣٨ . (عن الفرنسية ص ٣٤٩ - ٣٥١)

الى البارون دي ستورمر ' سفير امبراطور النمسا في الاستانة

١ - وصف اللجاء - مركز الثورة في جبل يدعى « لجأ جبل دروز حوران » . وهو يبعد عن دمشق نهراً ونصف نهار . يبلغ طوله ١٢ الى ١٤ ساعة وعرضه ست الى سبع ساعات . وفيه زهاء

(١) De Stürmer

(٢) في الاصل lieue وهو قياس يعادل ثلاثة اميال

سبعة او ثمانية آلاف رجل بين دروز وبدو ولاجئين من سوريا .
يقال ان لديهم مؤن وافرة وينابيع مياه غزيرة
في مدخل اللجاء ووسطه قطع ضخمة من صخور بركانية سوداء ،
واقفة عمودياً يخبئ وراءها الشوار . فضلاً عن هوات ومنفرجات
تؤلف خنادق وسراديب يضيع فيها الغريب . فيستحيل على السواري
اجتياز هذا الجبل لوعورته . اما المشاة فيعرضون لخسائر جسيمة ،
لان العدو مستتر امامهم

لم يحسب الجيش المصري لهذه العراقيل الطبيعية حساباً ، الا
بعد ان كابد خسائر فادحة وانكسر مراراً . وفي احدى المواقع
قتل احد الباشاوات ، واللواء محمد باشا . وجرح منقلي باشا . وصرع
اميرالان وكثير من الضباط . اما القتلى والجرحى من الجنود فلا
يعرف عددهم بالضبط

والجيش المصري معسكر الان في تبنة ، على بعد ساعتين من
اللاجاء . ويقال انه مؤلف من ستة آليات بياده ، ومن ثلاثة الى
اربعة آلاف ارناؤوطي ، ومن آلاي سواري ، ومن الفين الى ثلاثة
آلاف خيال من البدو ، انجاز اخيراً الف وخمسمائة منهم الى الشوار

٢ - اشاعة الصلح - وفي آخر نيسان المنصرم شاع خبر مؤداه ان
ابراهيم باشا القائد العام قد توصل الى اخضاع الشوار . بيد ان هذا
الخبر لم يتحقق . وكنا قد تلقيناه بالخطر لصدوره من معسكر تبنة .
وزدنا شكاً في صحته لما علمنا ان القائد العام اوفد بريداً مستعجلاً
الى مصر . نعم جرت بعض مفاوضات في هذا الصدد حملت ابراهيم
باشا على ان يعال النفس بحمل الشوار على القاء السلاح . فقد ارسل

الى معسكر اللجاء، على اثر ذلك الخضوع المزعوم، ضابطاً مصحوباً ببعض الجنود، ليجمع السلاح من الشوار. فقابله هؤلاء، بكل اكرام وذبحوا له خروفاً. ولما انتهى الضابط من الطعام فاتحهم في امر مهمته. فاجابه احد المشايخ « على شرط ان يقوم العسكر من تبنة، قبل كل شي، وان ينحصر الجيش كله في دمشق، ما عدا ثلثائة ام اربعمائة جندي ». ولما اراد الضابط ان يدلي بملاحظاته على هذه الشروط، التي هي شروط الامر، ناسياً انه يخاطب عصاة، سمع آلافاً من الاصوات تردد هذا التهديد « فليستعد اذن ابراهيم باشا ان يصيبه ما اصاب هذا الخروف الذي ذبحناه ». فالتقى هذا الكلام في قلب الضابط ورفقائه الرعب والذهول. وقنع من الغنيمة بالسلامة

٣ - الهجوم - ولما تلقى ابراهيم باشا هذا الجواب الوقح استشاط غضباً ووطد النية على الاقتصاص من هذه الجسارة واتخاذ هذه الثورة المستعصية. فامر الجيش ان يستعد للهجوم على اللجاء. ونفذ الامر في اول الجاري. بيد انه حتى الان لم ينل جيشه انتصاراً يذكر، بل كان فوزه ضئيلاً. ويسهل فهم السبب اذا علمنا ان عليه ان يتقدم ببطء وحذر، وان يقف تقريباً بعد كل خطوة، للعقبات الطبيعية التي تعترضه، ولدفاع الشوار المستبسل. وقد تمكن من ردم بعض الابار. على ان الينابيع في هذا الجبل غزيرة، ويستحيل عليه امتلاكه بالعطش. وخسائر جيشه تفوق دائماً خسائر الشوار. ومراراً يقع في الاشراك التي ينصبونها له. وقد آل امره الى الضعف لتكرار خسائره. ويؤكد بعضهم ان ابراهيم باشا قد صمم على مهاجمة الجبل بكل قواته، بعد ان يقسمها خمسة اقسام

ذلك وصف الحالة على وجه التقريب . وقد جاء استمرار هذه الثورة خمسة اشهر متوالية ضغثاً على ابالة في بلاد سوريا التعسة . لان نتائجها وخيمة . فالمواصلات مع دمشق اصبحت في حكم المقطوعة . وكثيراً ما تشاهد جثث القتلى ملقاة على الطريق . وقد اوقف اخيراً البريد الانكليزي القادم من دمشق الى بيروت ، وسلبت منه رزم من الطرود المرسلة الى هذا الثغر وقعت بعض اصابات بالطاعون في بيروت وضواحي طرابلس . نسأل المولى ان يرفع عنا كل هذه الضربات

٤٠

انضمام دروز لبنان الى الثورة

في ١٨ حزيران ١٨٣٨ . (عن الفرنسية ص ٣٦٢)

الى البارون دي ستورمر سفير النمسا في الاستانة

يظهر ان ثورة حوران، التي بدأت في رمضان، ليست على وشك الانتهاء . لا بل قد اتخذت شكلاً اكثر خطورة . لان كثيرين من دروز لبنان انضموا الى اخوانهم في اللجاء واستولوا على جملة قرى . منها راشيا، التي ذبحوا حاكمها، وحاصبيا، التي فر متسلمها . ويدعي هؤلاء العصاة انهم يعملون باوامر السلطان محمود . وربما كانت هذه الثورة اوخم عاقبة من الاولى، لان ابراهيم باشا منهمك في اللجاء، ولا يسعه قمعها قبل استفحالها

ان حالة سوريا يُرثى لها، واهلها في مأزق حرج للغاية

٤١

تسليم المسيحيين في لبنان

في ٦ تموز ١٨٣٨ . (عن الايطالية ص ٣٦٤)

الى الكافالير بيتشوتو في حلب

لقد انتقل ميدان الحرب الاكبر الى جهات حاصبيا وراشيا، حيث اجتمع كل دروز لبنان . ولا يزال قسم من الشوار في اللجاء، الامر الذي اجبر معسكر تبنة ان يظل هناك . وقصد اخيراً ابراهيم باشا الى راشيا على رأس سبعة او ثمانية آلاف رجل وبعض المدافع . ولحقه ايضاً من خمسمائة الى ستمائة مقاتل من النابلسيين المسلمين . وهناك جيوش غيرها على اهبة التوجه الى هذا الميدان . وقد سُلمح نصارى الجبل لشدة إزراء ابراهيم باشا واملنا ان يقرب الوقت، الذي نرى فيه نهاية هذه المأساة

٤٢

فزع الثورة

في ٢٢ ايلول ١٨٣٨ . (عن الايطالية ص ٣٦٨)

الى الكافالير بيتشوتو في حلب

ان خبر انتهاء ثورة حوران قد اثلج قلب كل محب للسلام . نرجو ان يدوم الحال على هذا المنوال حاشية . لقد سرت اشاعة فتنة جديدة تدبر في اللجاء، مسببة

عن الطرق العنيفة التي يستخدمها شريف باشا في تجريد السكان من السلاح . حتى انه لا يسمح لهم ببعض السلاح اللازم للدفاع عن النفس

٤٣

معاكسة ابراهيم باشا للتجار

في ١٣ شباط ١٨٣٩ . (عن الايطالية ص ٣٨٧)

الى الخواجا انطون لوران قنصل النمسا العام في الاسكندرية وتوابعها بلغكم بلا شك من تقارير السيد لابي وابني لويس الى اي حد بلغت تعديات ابراهيم باشا على القناصل والتجار الاوربيين، منذ اواخر كانون الاول الماضي حتى الان . وحالما علمت بذلك كلفت السيد فكتور برنار كنشليز القنصلية، الذهاب الى عكا والاطلاع بنفسه على حقيقة الامر . ولما وصل الى هناك وجد القناصل والتجار قد وقعوا احتجاجاً سردوا فيه كل هذه التعديات، وان النمساويين قد وكلوا الى السيد لابي الدفاع عنهم لدى سليمان باشا في القضية التي رفعها عليهم ابراهيم باشا . واثاروا على السيد برنار ان يترك هذه القضية في يد السيد لابي، مشين ثناء عاطراً على غيرته

(١) حاكم دمشق من قبل الحكومة المصرية

(٢) نشر الوثائق الخاصة بهذه المشكلة، لانها كانت من الاسباب التي حملت الدول الاوربية على الانضمام الى رأي انكلترا والعمل معها على اعادة سوريا الى الدولة العثمانية . وكان قصد ابراهيم باشا تخليص الوطنيين من سيطرة المرابين الاوربيين على موارد البلاد . فقد كانوا يسلفون الفلاح على المحصول ويشترونه بالاسعار التي توافقهم

وذكائه . فوافقهم على ذلك ومدح من هممة المذكور . واني اعد نفسي في حل من تقديم نسخة من هذا الاحتجاج الى حضرتكم، لان السيد لابي قد بعث اليكم بصورة منه

١ - توقيف مستخدمي القناصل والتجار - بدأ ابراهيم باشا اضطهاده

بتوقيف مستخدمي القناصل والتجار الاوربيين واستعمال العنف والقسوة معهم . فقد ساق ثمانية عشر منهم مكبلين الى سجون عكا، بعد ان طاف بهم في قرى عديدة ليكونوا هزءاً للفلاحين ومشهداً لاذلال الاوربيين ومقدرة سعادته . واقتصرت الترضية عن هذه الالهانة الفظيعة على اطلاق سراح المذكورين وتوقيف عمال الحكومة، الذين امسكواهم، اربعة ايام، ثم عزلهم وحرمانهم التوظيف في دوائر الحكومة المصرية . وفي نظري ان هؤلاء الموظفين لم يُقدموا على ذلك الا تنفيذاً للاوامر الصادرة اليهم من سعادته، فلا يستحقون كل هذا القصاص . ومهما كان الامر فهذه الترضية غير كافية للتكفير عن الالهانة الفظيعة، وللتعويض عن الاضرار التي لحقت من جرائها بالاوربيين الذين ينتظرون من قناصلهم، الواقفين على واقعة الحال، ان يعيروها جد الاهتمام، ويقوموا قومة واحدة للاحتجاج على بقية الالهانات والتعدييات، الصادرة بحقهم من سعادته . ومع اني واثق ان السيد لابي قد اطلعكم عليها رأيت من واجبي ان اعيد الى ذهنكم حقائقها، مستنداً الى عريضة مؤرخة في ٢٢ كانون الثاني، رفعها الي ابني لويس بصفة كوني وكيلاً لقنصل جلالة الملك، اطوي هنا نسخة منها، خوفاً من ان انسى شيئاً منها

ومنها تقفون باختصار على تفاصيل الاضطهاد، الذي اثاره ابراهيم باشا على التجار الاوربيين منذ وصوله الى عكا؛ الامر الذي لم يسمع قط مثله في عهد الدولة العثمانية . ولما لم يكن من مسوغ لهذه الخطة، جاز لنا الاستنتاج، ان الغاية الوحيدة التي يرمي اليها سعادته هي اذلال الاوربيين وتعطيل مصالحهم في هذه الجهات، وخرابها ان امكن . فقد باتوا حقيرين في اعين هذه الشعوب الجاهلة، بعد الاجراءات الاستبدادية التي اتخذها ضد مستخدميهم . وتحملت تجارتهم اضراراً لا تقدر، وانحطت الى درجة لم يجسر بعدها احد منهم على عقد صفقة ما، مهما كانت زهيدة . بيد ان سعادته قد القى على عاتقه مسؤولية خطيرة بالوسائل الغريبة الاستبدادية التي استخدمها

أجهل ان لكل المحلات التجارية المؤسسة في عكا شركاء في الشرق والغرب، مُنوا بالخسائر التي ازلها بها، فلا يجزمون عن رفع احتجاجاتهم الى اولياء شؤونهم؛ وانه قد اهان في حيفا وكييل قنصل النمسا، والوكيلين الفرنسي والانكليزي، ونائب قنصل سردينيا، واصحاب ثلاث مؤسسات انكليزية ومؤسسة فرنسوية ؟ وانه ألحق ايضاً في عكا الالهانة بالوكيل البريطاني وبمحليين نمسويين، ومحل آخر موضوع تحت حماية دولة روسيا ؟

ها قد مضى شهران والتجارة الاوربية مشلولة . فقد توقفت كل المعاملات، ورفض المدينون الدفع، ولم يعد احد يحترم ميعاد تسليم البضاعة المشتراة، واصبح البائعون يتصرفون بحجز، مما باعوه كل هذا نتيجة مسلك سعادته تجاه الاوربيين

٢ - تواطؤ الحكومة - اما الحكومة فقد انتهزت فرصة هذه التصرفات الغير المشروعة، التي شجعتها بنفسها، لتحصل حالاً اموالها من الفلاحين . ولم تكتف بذلك بل حرصت الفلاح على التشكي من معاملة الاوربيين له، ولقنته كيف يحرف حساباته، واكدت له ضرورة اعادة النظر في كل هذه الحسابات، ابتداءً من السنة ١٢٥١ هجرية، واقنعتة ان يتخلص بهذه الاساليب من ديونه للاوربيين . وفعلاً قد ارسل سعادته الى كل قرية تابعة لولاية عكا خبراً يطلعون على حسابات الفلاحين مع الاوربيين ويحرفونها . والحق يقال اننا لم نر قط مثل هذا التحدي والظلم في غير هذه من البلدان، ولا يمكن الخبث ان يتجاوز هذا الحد، حتى عند الشعوب غير المتعدنة وقد يرغب ابراهيم باشا في السماح للتجار بتسليف المال بفائدة ٢٥ في المئة، كما يفعل هو . بيد ان كل الشرائع تحرم هذه الفائدة . وهي مضادة لروح الشريعة الاسلامية . والذين يأخذون المال بهذه الفائدة يحق لهم ان يرجعوا عن عهدهم متى شاؤوا، ويعدوها رباً ظاهراً . فكل ما تسمح به الشريعة الاسلامية منحصر في كلمتي « استلام وتسليم » اي تسليف النقود على غلة وتسليمها عند الحصول القادم بحسب الصنف والكمية، اللذين يجب تعيينهما في العقد . فكان التجار الاوربيون يعقدون الصفقات في عكا وحيفاً مشياً على هذه الطريقة العادلة، ويدعمونها بالوثائق والضمانات، بحسب الاصول المرعية في هذه البلاد . واكثر هذه العقود كانت تكتب امام القضاة

(١) تبدأ في ٢١ نيسان ١٨٢٥

(٢) في الاصل سلام وتسليم « Salam et Teslim »

الشرعيين، فيمهرونها بامضاءاتهم للموافقة . فابراهيم باشا لا يستطيع ولا يحق له ان يلغيها

٣ - مسلك ابراهيم باشا - ومما اثر في هذه القضية المزعجة البغض الذي اظهره ابراهيم باشا لاسرتي، وخصوصاً لابني لويس، الذي تقيد في خدمته تقريباً من اول وصوله الى سوريا، مع ان هذه الخدمة كانت ضد مصلحته، وخطراً على حياته . وقد علمت من كتاب وجهه الي ابني المذكور ان سبب انقلاب سعادته عليه هو طلبه منه ان يكذب جهاراً وكتابةً ما جاء في عريضة الاحتجاج، التي امضاها اسوة ببقية القناصل والتجار، فتمنع ابني عن التكذيب حرصاً على شرف امضائه . ومن ذلك الحين اخذ سعادته ينفث غضبه على افراد اسرتي، وخاصة على ابني لويس . وهو السبب الذي حمل فيليب كتافاكو^(١) على ان يترك الاراضي التي التزمها لثلاث سنين، معما يعود عليه ذلك من الاضرار، كي لا يعرض نفسه لتعديات الفلاحين بتحريض الحكومة قد يكون ابراهيم باشا جندياً باسلاً، بيد اني اجرؤ على القول انه غير صالح للادارة . لانه بدلاً من ان يكتسب محبة الشعب يضطهده فيحمله على كرهه

والشعب يتشبه الان بالحكومة في ظلمه للاوربيين . وقد كان الرهبان الفرنسيون والكرمليتان اول من شعروا بذلك ؛ لان الوطنيين ينازعون الاولين على ملكية كنيسة قانا الجليل، والثانين على ملكية طاحون خاصة دير جبل الكرمل

(١) يشير في محل آخر الى انه خاطر بحياته في نابلس لاجل ابراهيم باشا

(٢) شقيق الكاتب

اما سليمان باشا فغير راضٍ عن هذه الامور غير القانونية .
 بيد انه لا يستطيع ان يتداركها لان بجانبه بكري بك . وهو
 رجل عنيد ، ومصمم على تنفيذ رغائب ابراهيم باشا . وعلمت اخيراً
 ان القنصل البريطاني في بيروت كتب اخيراً الى القائد العام ' كتاباً
 هذا نصه على وجه التقريب « ان الاضطهاد الذي شهره ابراهيم
 باشا على جميع الاوربيين في عكا وحيفا اضطر الرعايا الانكليز ان
 يلجأوا الى بيروت . فلا يسعني ان امتنع عن اطلاع حكومتي على
 امرهم ، واطلب الترضية عن توقيف مستخدميهم . واود ان اعرف
 هل بامكانهم ان يعودوا الى مراكز اعمالهم التجارية في تلك الجهات
 بلا خوف على اشخاصهم ، وان يطالبوا بديونهم من نقد وبضائع
 ويحصلوا عليها ، وبالتعويضات عن الاضرار التي لحقت بهم »
 والى الان لم يفز احد بترضية ما

٤٤

طريقة التعدي على الاوربيين

في ١٨ شباط ١٨٣٩ . (عن الايطالية ص ٣٩٢ - ٣٩٧)

الى الكافالير بيتشوتو في حلب

... بلغني ان القناصل في مصر دفعوا الى الاستانة شكواهم
 على ابراهيم باشا الامر الذي يجيز لنا الظن انهم لم يفلحوا لدى
 خديوي مصر

لا يجوز لابراهيم باشا الغاء معاهدات الوطنيين على انفسهم، في السلفيات التي اخذوها، ولا انتقاد التجار الاوربيين في ما يعمله رعاياه وشركاؤه انفسهم . لاسيما وان التجار المذكورين لا ينزلون الضرر بالفلاح او بالحكومة، بل يخدمون كليهما بالمبالغ التي يسلفونها له ليسدد اقساط الحكومة في ميعادها وفي غير ميعادها . ولا يسعه ان يعتبر معاملة التجار الاوربيين للفلاح غير قانونية ومجحفة بحقه، لانه لم يتذمر قط احد منهم، وان تذر الان فمن وراء تحريض الحكومة له . وسعاده يدعي ان التاجر الاوربي قد ربح في السنتين والنصف الاخيرة المئة مئة، ويشجب هذا الربح علناً . فلنفرض ان تقديره صحيح، فلنا الحق بلفت نظره الى الربح الذي اصابه شركاؤه بالطريقة عينها، فقد تجاوز ١٦٥ في المئة . وفرق العملة قد عاد على سعاده بربح يعادل ٣١،٧ في المئة، كما هو معلوم عند الجميع

ولما كان سعاده يصرف همه الى معرفة ارباح التاجر، مع انها لا توجد سوى في مخيلته، لم لا يقدر في الوقت نفسه الخسائر التي يتعرض لها التاجر في مثل هذه الصفقات ؟ ايجمل ما اصاب تجاراً كثيرين في السنة ١٨٣٧ من الازمة المالية التي استحكمت حلقاتها في تلك السنة، ومن التفاليس العديدة وهبوط اسعار الاقطان في الشرق ؟

كان الواجب على سعاده ان يتروى قبل الاقدام على الخطوة غير المشروعة التي اتخذها ضد التجار الاوربيين في عكا وحيفا، ونفذها بقسوة وظلم، معرضاً مصالحهم لاهواء شعب متشبع من روح الثورة، دون ان يفكر بالعواقب الوخيمة، التي قد تنجم عن هذا المسلك

قابل بعض التجار من مدة القائد العام سليمان باشا، وقدموا له طلباً عما يستحق لهم على بعض الفلاحين . فاستدعاهم، فاقروا بديونهم . ولما سألهم عن سبب تأخرهم عن تسديدها اجابوه انهم نزلوا على اوامر ديوان التفتيش في عكا . فرفع سليمان باشا حالاً تقريراً بالامر الى سعادته . فاجابه « انه لم يُصدر امراً مثل هذا » . بيد أنه لم يأمر المديونين بالدفع

٤٥

استمرار الاضطهاد . الخوف من الثورة

في ٥ آذار ١٨٣٩ . (عن الايطالية ص ٣٩٨)

الى السيد اليانو پيتشوتو قنصل النمسا في حلب

يسوءني ان اخبركم ان الاضطهاد، الذي أثير على مواطنينا التجار وغيرهم من الاوربيين في عكا وحيفا، سائر سيره، وان شكواويهم لا تلقى اذنأ صاغية . فهم عاجزون عن استرداد اموالهم . ومصالحهم يُضحى بها من كل الوجوه . ولا امل بوضع حد لهذه الخسائر . وقد حملت هذه الحالة الشاذة الرعايا الاوربيين على تجديد احتجاجهم في ١٩ الجاري . وصورة هذا الاحتجاج واصله لكم طيه، مع الامل ان تعيروه الاهتمام اللازم

يظهر ان ابراهيم باشا موجس خوفاً من ثورة في سوريا، او من انتفاض عام، لان السلاح يُجمع بقسوة شديدة في كل مدينة وقرية .

وقد دُعي الى عكا كل حكام المقاطعات، لتلقي اوامر القيام بتجنيد جديد . وصدرت اوامر لجمع الخيل اللازمة للسواري

٤٦

اضطراد لابي . الحرب مع الدولة العثمانية

في ١١ آذار ١٨٣٩ . (عن الفرنسية ص ٤٠٠)

الى الكافالير بيتشوتو في حلب

ارسلت السيد برنار الى عكا لمساعدة مواطنينا في احتجاجهم الجديد على الحكومة . لذلك تروني مضطراً ان اكتب اليكم بالفرنسية

تلقيت من قنصل الاسكندرية رسالة انقل اليكم منها الفقرة التالية : « اقامة السيد لابي لدى سليمان باشا يجب ان تبطل . وساكتب الى الكافالير بيتشوتو ان يبدله بشخص آخر، الى ان يزول الاستياء الذي يبدية الآن السر عسكر بغير حق منه ومن اسرته » وصل الى هنا سليمان باشا، تاركاً الاشغال التي كانت تتطلب حضوره في عكا . وهو يستعد للحاق بابرهم باشا الى حماة

من النشاط البادي في حركات اولياء الامر يظهر ان الحرب مع الباب العالي اصبحت في حكم المقررة . التجنيد متواصل في كل مكان . والحكام في حيرة من تدبير عدد المجندين المطلوب منهم احوال حوران على ما هي، مع انهم يؤكدون ان الثوار قد

(١) هذا دليل على ان التقارير السابقة المكتوبة بالاطالية هي من قلم السيد برنار

تركوا نهائياً اللجاء والصفاء . طرق دمشق وحاصبيا وراشيا لا تزال
غير امينة

اما حركات العسكر على الحدود فانتم ادرى بها مني . لذلك
ارجو منكم الافادة عما تعرفونه من هذا القبيل ، لاتخذ الحيطة
لتأمين ارواح مواطنينا واموالهم

٤٧

يهود السبر لابي في نوبة المسكنة

في ١٤ آذار ١٨٣٩ . (عن الفرنسية ص ٤٠١)

الى انطون لوران قنصل النمسا العام في الاسكندرية

١ - ما توصل اليه - لولا توسط السيد لابي لديست حقوق
التجار ومصالحهم ، ليس في عكا وحيفا فقط ، بل في كل جهات
سوريا ايضاً

ان الضربة التي أعدها ابراهيم باشا كانت ترمي الى القضاء على
تجارة الاوربيين قضاء تاماً . ولما كان في نية سعادته ان يبدأ حملاته
على الجهة التي يلاقي فيها اقل مقاومة ، جمع كل قواه على عكا وحيفا .
والحق يقال انه لولا صمود السيد لابي في وجهه لتكملت مساعي
سعادته بالنجاح التام

وفي الواقع ، لم يكن بوسعي ، وانا احد اصحاب العلاقة بهذه

(١) جبل بركاني يشتد فيه الحر صيفاً وتنضب الينابيع ، فيهجره اهله في ذاك
الفصل الى حيث يجدون الماء والكلاء

المشكلة، المعقدة تعقيداً شيطانياً، ان اعالجها بالروية وضبط النفس
اللازمين في مثل هذه الاحوال . ولا سيما بعد ان وجدت نفسي
مهدداً بان اخسر في وقت واحد كل ما استطعت جمعه بشق النفس
في مدة خمس وخمسين سنة

نعم اني توفقت في عهد الجزار الى حل مشاكل اكثر صعوبة
من هذه، الامر الذي اولاني رضى رؤسائي واعجابهم . على انه لم
يكن في ذاك العهد من محكمة سوى ديوان الوزير، وكان بوسعي
ان اتمسك بالاتفاقات الدولية . واذا ذكرتها زال كل نزاع

وقد توصل السيد لابي، بعد مرافعات ومعالجات شتى، الى
معاينة الموظفين الذين اوقفوا مستخدمى الاوربيين، مع انهم لم يفعلوا
سوى تنفيذ اوامر رؤسائهم . وتسنى له ايضاً ان يتسلم الغلال المشتراة
من عبدالله بك، وتأجيل ما كانت الحكومة تنويه من مراجعة
حسابات التجار الاوربيين مع الفلاحين عن السنين الثلاث الاخيرة .
والفت نظرهم الى ان الحكومة لم تتشبث باعادة النظر في هذه
الحسابات سوى بقصد ان تحرم التجار الاوربيين، بشهود زور اشتراهم
المديونون، ما يستحق لهم من الصفقات المعقود اكثرها امام القضاة
الوطنيين . لو وقع هذا الامر، الذي لا اعرف كيف أنعته، لقلب
الحق الاجتماعي رأساً على عقب، وفقد كل ضمان يحمي مواطنينا
والعالم اجمع من النهب والسلب . لو قبل هذا المبدأ لاصبح المالك
معرضاً في اي وقت لخسارة امواله كلها . لان ايجاد الشهود الزور
من اسهل الامور في سوريا . ولا تنفع المالك عندئذ وثائق التملك،
التي احترمتها شرائع كل القرون

٢ - عواقب الاضطهاد - ولما كانت الحكومة معللة النفس ببلوغ اربها فقد حجزت كل الاموال التي وزعها الاوربيون في البلاد . وهي مؤلفة من السلفات الممنوحة للفلاح، ومن بيوع البضائع في ميعاد معين . وما دام هؤلاء التجار عاجزين عن الوصول الى الاموال الطائلة المستحقة لهم، فلا يسعهم اداء المستحق عليهم هنا او في اوربا . وهنا اترك لفطنتكم تقدير العواقب الوخيمة، التي قد تعود على التجارة من جراء هذه المراقبة الاستبدادية، التي لم يسبق لها مثيل في العالم

وان قيل انه تدبير موقت لا يطول امره، فهذا لا يمنع تأثيره السيئ . لان الكل يعلم ان الشهرين الماضيين هما الفرصة الوحيدة في السنة، التي يسهل فيها على التاجر استرداد ماله من الفلاح . وقد اسرع المزارعون الى التصرف بمحصولاتهم من زيت وقطن وغيرها، ظناً منهم انهم قد تخلصوا من دينهم

واكثر هذه المحصولات قد باعها الفلاح من التجار للحصول على المال المطلوب للحكومة وشركاؤها . وفي حال فشل هذه الطريقة أعدت الحكومة غيرها اكثر دهاء، لا يسعني تصورها بغير ان ارتعش . ومؤداها ان تعلن الحكومة افلاس المديونين للاوربيين وتقرر عجزهم عن الدفع . تصوروا، لو نجحت الحكومة في هذه المكيدة، حال التجار، وحالي انا المشتبك في ثلاث مؤسسات في حيفا

كل ما تقدم يحملني على ان ارجو منكم باسمي واسم التجار النمساويين، تأجيل استدعاء السيد لابي، الضابط الممتاز، الذي لا

يمكن الاستغناء عن خدماته في سوريا، لا في الحال ولا في المستقبل
ولما رأى التجار النمسيون ان اموالهم يضحى بها بلا شفقة
رفعوا الى السيد لابي احتجاجاً جديداً، ليبلغه بدوره الى اولي امرهم .
ولاشك ان السيد لابي قد رفع هذا الاحتجاج اليكم فلا حاجة
الى ارسال صورة منه . بل اكتفي بتقريرى هذا ان اطالب باسمي
واسم التجار من رعايا جلالة الامبراطور بكل النفقات والخسائر
والفوائد ووقوف المعاملات التجارية . . . الخ، التي نتجت وتنتج
من تدابير الحكومة المصرية الحاضرة، وبالتعويض عن كل
تأخير في دفع المبالغ المستحقة نقداً او بضاعة . راجياً، يا حضرة
المستشار، ان تبلغوا هذا الاحتجاج الى الروساء واولي الشأن،
مؤيداً بملاحظاتكم

صح - سهوت ان الفت نظركم الى ان الجزائر، وكان اكثر
شراسة من جميع البشاوات المعروفين في سوريا، لما طرد الفرنسيين
من ولايته، اجبر الجميع على احترام اموالهم وبضائعهم المتروكة في
المخازن . ولم يسمح لاحد بمسها، حتى ابان حملة الجيش الفرنسي على
مصر وسوريا

٤٨

الثورة في لبنان

في اول تموز ١٨٤٠ . (عن الفرنسية ص ٢٥٢ - ٢٥٥)

الى حضرة المستشار السيد ا . لوران قنصل النمسا العام في الاسكندرية

حضرة المستشار

١ - ثورة دير القمر - في السابع والعشرين من حزيران المنصرم

تسلمتُ البرقيتين اللتين شرفتموني بارسالهما في السادس وفي التاسع عشر من الشهر المذكور

ارجو منكم قبول خالص شكري على ما ضمنتموها من الانباء آملاً ان تواصلوني بهذه المنّة

ابداً بتأييد ما اوردته لحضرتكم في كتابي السابقين المؤرخين في الثاني وفي السادس من حزيران الاخير. في الاول اطلعتكم على الحوادث التي وقعت في لبنان في السابع والعشرين من ايار الماضي. كان سكان دير القمر السابقين الى اعلان الثورة. وقد نجحوا في حمل بعض اهالي الشحار والمناصف على مشاركتهم فيها. وبلغت بهم الجرأة ان هاجموا الجنود المصرية، الضاربة نطاقاً صحياً حول مدينة صيدا، وجرّدوهم من السلاح. وكان سعادة سليمان باشا، القائد العام، قد علم مقدماً بجرّكتهم فأدخل الى المدينة، قبل وصولهم بساعتين، جميع العساكر تقريباً، الا عشرين منهم اعتدى الشوار عليهم وجرحوا واحداً منهم. وقد نزعوا ايضاً سلاح ضابطين كانا في طريقهما الى بيروت، واخذوا خمسة رؤوس من خيل مصلحة البريد هذا الفوز الضئيل شجّع اهالي الجبل على التمرد فهاجموا المطاحن واستولوا على كل قمح الحكومة فيها، وهددوا بتحويل الماء عن المدينة. فاجلّأوا بعملهم هذا القائد العام على ان يجرّد حملة عليهم. بيد انه اظهر في هذه الفرصة مظهرًا آخر من الاعتدال الذي يتحلّى به هذا القائد الماهر والمدير الحكيم. فقد نهى جنوده عن الهجوم وامرهم بان يلزموا فقط خطة الدفاع عن نفوسهم

دامت هذه الحال خمسة ايام الى ان وعد الامير بشير هذه

الزمرة، التي لم تتجاوز ألفاً او ألفاً ومئتي رجل، ان يُبقي لها سلاحها ويعفيها من التجنيد في الجيش النظامي . فعاد أفرادها الى منازلهم . وفي اليوم نفسه ارسل الامير الى القائد العام خيول البريد التي كانوا سلبوها . وبلغني ان الديارنة، اي سكان دير القمر، لما رأوا ان دروز الشوف قد تركوهم، ولم يتلقوا من بقية المقاطعات جواباً على تحارير التحريض التي اوفدوها، قد سلموا على يد القنصل العام . ولدى عودتهم علموا ان المتنيين، اي سكان المتن، قد شقوا جميعاً عصا الطاعة، وانهم في طريقهم الى مهاجمة بيروت، مصممين على ان يفتنوا على بكرة ابيهم أخرى من ان يتفقهقروا . وقد اسرع الامير بشير فأوفد الى حرش بيروت، حيث اجتمعوا، ولده الامير امين، وعرض عليهم الشروط التي عرضها سابقاً على الديارنة . فلم يكتفوا بها بل زادوا عليها طالبين الاعفاء من الفردة وسخرة الفحم المعدني بضمانة احد ممثلي دول النمسا ام فرنسا ام انكلترا

٢ - ثورة كسروان وجبيل والجة - وبعد ايام قليلة أعلن العصيان اهالي كسروان وجبيل وجة بشري . وجاء بعضهم فانضم الى المتنيين والبعض الآخر هاجم طرابلس . والقسم الثالث المؤلف من متاوله العاقوره وبعلبك، قصد الى جهات زحله، بقيادة الامير علي قايد بيه والاميرين خنجر ومحمد حروفوش، ليصد جيش عثمان باشا اذا حاول الزحف على لبنان

ويبذل الامير بشير كل الجهد في تفكيك عرى هذه الثورة، كخادم امين لمصلحة المصريين . وقد أفلح في فصل اهالي الشوف

والعرقوب وزحله عنها . منهم ثمانية او تسعمئة رجل جاؤوا الى بيت الدين، حيث تطوعوا وحلفوا يمين الاخلاص، فسلمهم الامير سلاحاً . بيد أنهم، على ما أكد لي البعض، اشترطوا عليه ان لا يجاربوا مواطنيهم، بل اذا حاول الجيش المصري دخول الاراضي اللبنانية، انضموا الى اخوانهم لصدّه

وقد ارسل الامير الى صيدا حفيديه الامير مجيد ابن الامير قاسم، والامير مسعود ابن الامير خليل، واصحبهما بأميري حاصبيا جهجه وبشير، وبالامير ارسلان وباربعة مشايخ من الدروز مع اربعين خادماً . فضلاً عن ان بكره الامير خليل والامير محمود يقيان من عدة ايام في معسكر عثمان باشا بدرداره، جنوب زحله . بيد ان هذا المسلك أثار على الامير حفاظ اللبنانيين، حتى الذين كانوا الى ذاك الوقت مخلصين الى السكينة . فاجتمع في مزبود اكثر من الف رجل من دير القمر والشحار والمناصف وهم يتوعدون بمحاصرة صيدا كما حاصر رفقاؤهم بيروت وطرابلس

لم يقع حتى الآن معارك فاصلة، مع ان لدى الحكومة المصرية من خمسة الى ستة الاف جندي في صيدا، ومن ثلاثة الى اربعة آلاف في طرابلس، ومن عشرة الى اثني عشر الفاً في بيروت . ومثلهم في درداره . فضلاً عن الاحتياطي الذي عاهد النابلسيون على تقديمه عند الطلب . اما سليمان باشا فهو في بيروت منذ التاسع والعشرين من حزيران

في كل المعارك التي نشبت حتى الآن زادت خسائر المصريين على خسائر الثوار . وان صدقنا تقارير الامير بشير فقد بلغت

خسارة الشوار في الواقعة الاخيرة مئتي قتيل وسبعين اسيراً
يستفاد من التحارير الواردة اخيراً من بيروت ان سكانها قد
ساءت احوالهم ولم يعودوا آمنين على نفوسهم . فقد جرح احد
الضباط المصريين فرنسويًا، ولما احجمت الحكومة المصرية عن معاقبته
اعتزل القنصل الفرنسي في بيته ورفع العلم عليه . وهذا الحادث
لم يكن الوحيد من نوعه بل لحقه مقتل خادم انكليزي، الامر
الذي حدا الفرنسيين على هجر المدينة . وخلاصة القول ان الجنود
المصريين يرتكبون كثيراً من الفظائع في تلك المدينة
انا لا اتوانى عن تبليغ حضرتكم كل ما يصل الى علمي عن
ثورة الجبل . واقبلوا مزيد احترامي

٤٩

هجوم الثوار . فظائع الارناؤوط

في ٩ تموز ١٨٤٠ . (عن الفرنسية ص ٥٥٨-٥٥٩)

الى السيد لورلا وكيل قنصل النمسا في بيروت

زميلي العزيز

وردتني الرسائل الثلاث التي وجهتموها الي في ١٤ و ٢٢ و ٢٣
حزيران الماضي وسرني خبر ارسال الطرود التسعة خاصة المرحوم
لابي الى الاسكندرية على يد الرئيس علي شكري الدمياطي .
شكراً على الانباء التي مننتم بها علي عن حركة الشوار في جهاتكم

راجياً مواصلتها . اما ثوارنا فاجتمعون في مزبود وساعون جهدهم
لتكثير عددهم، الذي بلغ من الفين وخمسمئة الى ثلاثة آلاف مقاتل .
يوم الاحد الماضي في الخامس من الشهر الحالي هاجم سبعة وستون
منهم آلايين مصريين كانا يحتلان قمتين قريبتين من قرية علمان . وقد
اسرع الامراء بالآلي من الفرسان الى نجدتهما فهزموا المعتدين،
واغلبهم من دير القمر، وقتلوا منهم تسعة وجرحوا اربعة . وقُتل
من المصريين ستة عشر، بينهم ضابطان، وجرح عشرون
تبعج مدينتنا بالارناؤوط القادمين اليوم من بيروت، وهم يبيعون
في السوق ما سلبوه في طريقهم . فقد نهبوا كل القرى التي مروا
بها، حتى الجية الخاصة بالاميرة . ونهبوا ايضاً وأحرقوا اربع كنائس
مارونية . ولدى وصولهم قتلوا المكارين الذين سخروهم في بيروت
بنقل لوازمهم . وبغال هؤلاء المنكودي الحظ معروضة الآن في
السوق للبيع

٥٠

مبوط الثورة

في ٢٢ تموز ١٨٤٠ . (عن الفرنسية ص ٥٥٩ - ٥٦١)

الى السيد لوران المستشار والقنصل العام النمساوي في الاسكندرية

حضرة المستشار

١ - جبانة الثوار - تقبلت بالشكر البرقيتين اللتين تنازلتم
لارسالهما في ٢٠ حزيران و ٩ الجاري الحاملتين رقمي ٨٩٣ و ٩٦٦ وبادرت
الى تبليغ فحوى الاولى منهما الى جميع رعايا جلالة الامبراطور

ليسلكوا بموجبها بدقة . ويسرني ان اخبركم ان لا علاقة لاحدهم
بالشوار اللبنانيين

اطلعتكم في تقريرى المؤرخ في اول الجارى على تفاصيل هذه
الثورة . وقد انقلبت من ذاك الوقت بطولة اهل الجبل الى جبانة
غربية . في التاسع من الشهر الجارى وصل من بيروت بطريق البر
الفان من الالبانيين وآلاي من المشاة بغنائم وافرة اخذوها من
قرى الناعمه والمعلقة والجييه ومقصبه . مع ان هاتين الاخيرتين من
املاك الامير بشير الخاصة . وسطوا بنوع شائن على الكنائس
وتعدوا حتى على المذابح ، دون ان يلقوا ادنى مقاومة . والقوا
الاضطراب في صيدا ايضاً . ولحسن الحظ عادوا في اليوم الثالث
الى بيروت مع ثلاث فرق من السوارى الخامس . وكان الشوار
يزعمون ان هؤلاء العساكر جاؤوا بغتة من بيروت فلم يعلموا بهم .
فكنا نتوقع ان يقفوا لهم في عودتهم ويثأروا لدماء مواطنيهم التي
سفكوها بدون شفقة . بيد أنهم لم يتعرضوا لهم في الرجوع ، بل
تركوهم يحرقون كل القرى التي نهبوها في مجيئهم . هذه الفظائع
عادت بالفائدة على المصريين ، لانها اقلت الرعب في قلوب اهل الجبل ،
فانسحبوا من كل الجهات وقصدوا الى بيت الدين ، حيث القوا
سلاحهم . فدخل الالبانيون وراءهم اراضي الجبل وامعنوا في النهب
والسلب واحرقوا عدداً كبيراً من الكنائس والديورة والقرى
وقد جمعت الحكومة اللبنانية كل سلاح الاهالي تقريباً ، ما عدا
زهاء الف من الدروز وبعض المسيحيين المعسكرين في ناحية بعلبك .
وهم يحاولون الآن دخول اللجاء

اما انا فلم اكن اتوقع خسارة في هذه الحوادث . ولكنني لسوء الحظ فقدت ما قيمته ٢٦٩٤ غرشاً اتلفه الالبانيون في بستان الياروتي، الذي املكه في الدامور، بالاشتراك مع رئيس دير الناعمه الماروني . وقد اعلمت سعادة القائد العام بهذه الخسارة . ولما كنت واثقاً اني لا افوز بالتعويض الا بوساطتكم جئت راجياً ان تعيروا أمري هذا اهتمامكم

٢ - بيلوردي محمد علي - طالعت بارتياح ترجمة بيلوردي سموّ الخديوي، الذي تفضلتم بارساله . وأستاذن في لفت نظركم الى اهل سموه كلمة « تسريح » والى ان بيلورديه لم يُبلَّغ الى مدير عكا لانه يواصل مطالبة مواطنينا برسم جائز على الجبوب التي صدروها مع انهم سددوا عنها رسوم الجمر . هذا لا يقلل من شكرنا انا ومواطني على المساعي التي بذلتوها في هذا السبيل، آملين ان لا نضطر في المستقبل الى مضايقتكم بهذا الخصوص ولما كان مدير عكا وعماله لا يألون جهداً في عرقلة اشغال تجارنا اضطر وكيلنا في حيفا ان يبعث الي بالتقرير الذي ترون طيه نسخة منه

اني مقتنع بما تفضلتم به في كتابكم المؤرخ في ٩ الجاري « ان علينا انتظار حل المشاكل المعلقة على شكل من الاشكال قبل العودة الى مشكلة ديوننا على الفلاح » . انما نظراً لخطورة الشكايات التي رفعها وكيلنا خفت الاخلال بواجبي لو آجلت تبليغها الى جنابكم . راجياً ان تسعوا، في الوقت الذي ترونه موافقاً، لان يوضع حد لهذه الحال التي لم يعد في الطاقة احتمالها

اما ما خص المظالم التي نالت اليهود المستوطنين في صفد وطبرية،
فانا منتظر معلومات اوفى لاعرض في صدددها الى سعادة سليمان
باشا واسأله التعويض عنها

ساكتب الى وكيلنا في حيفا ليفيدني عن اسم الحاج المقتول
من بضعة اشهر ووطنه. واذا لم يتوصل الى معرفته ان يسأل عنه
سيادة المطران پريتيو' لعله يدلي اليه بهذه المعلومات
اعود الى اخبار لبنان لافتاً نظركم الى ان اولياء الشأن هنا
يغضون النظر عن تعديات دروز الشوف على المسيحيين المساكين،
مع انهم هم الذين حرضوهم على الثورة. وقد بات مسيحيو سوريا
باجمعهم في ذل واضطهاد لا مزيد عليهما

٥١

المذابح والتقي

في ٢٦ تموز ١٨٤٠ . (عن الفرنسية ص ٥٦٢ - ٥٦٣)

الى السيد بطرس لورلا وكيل قنصل النمسا في بيروت

حضرة الزميل العزيز

تسلمت الرسالة التي تكلمت بها في ١٤ الجاري مع ملحقي
١٥ و ١٦ منه . طالعتهاف بفرائض مرتعشة للفظائع التي ارتكبتها
العساكر المصرية في ضواحي بيروت، وخاصة في الديورة . بيد ان
دروز جوارنا الخونة، الذين سألهم الامير بشير، ليسوا بأحسن سلوكاً

من هؤلاء . وقد فرضوا على قريتي دير القمر وجزين خمسمائة غرش تقدم لهم يومياً ثمناً للدخان والقهوة . انما دورهم آتٍ ، ان شاء الله ، عن قريب ، ولن يتمتعوا طويلاً بأثمار دسائسهم الشنيعة . ومهما كان الامر فانا اشاطرك الرأي في ان الجبل قد اصبح خراباً اقاموا هنا الافراح سبعة ايام متوالية لولادة اميرة عثمانية . وعن قليل سيفرضون خمسة عشر يوماً من الزينات للصالح المزعوم الذي عُقد في الاستانة . انا لا اخفي عنكم اني على شك كبير في امره

امس واول أمس وصل الى هنا سبعة امراء . اربعة من اسرة شهاب وثلاثة من اسرة ابي اللمع . قيدوا الى هنا من بيت الدين تخفروهم اورطة من الجنود ، وأرسلوا الى عكا بصحبة اربع اورط . وضع هؤلاء التعساء ثقتهم في غير محلها ، لانهم لو سافروا في مركب فرنسوي او انكليزي لنجوا بلا محالة

٥٢

معاقبة الثوار

في ٧ آب ١٨٤٠ . (عن الفرنسية ص ٥٦٤ - ٥٦٦)

الى حضرة السيد ا . لوران قنصل النمسا العام في الاسكندرية

حضرة المستشار

لقد تمّ تقريباً جمع السلاح من اهالي الجبل . اعطى الامير بشير الأمان لسبعة من الامراء المتهمين بالاشتراك في الثورة ، اغلبهم من

أخص اقاربه . فجاؤوا من تلقاء انفسهم الى بيت الدين . وحال وصولهم جردوا من السلاح وزجوا في السجن . فباتوا ضحايا النكث بالعهود . وفي ٢٧ الماضي مروا بصيدا في طريقهم الى عكا تحرسهم ثلة من الجنود، وسينفوا منها على ما يقال، الى سنار . وبعد ان سلبهم الامير خيولهم قدّم لهم بغالاً رديئة لركوبهم . لكنهم أُجبروا على دخول مدن صيدا وصور وعكا والخروج منها على اقدامهم جميع الامراء والمشايخ الذين ليسوا في خدمة الامير فقدوا في هذه الحادثة سلاحهم وخيولهم واملاكهم . اما املاك المنفيين الى عكا فقد أُعيدت بعد حجزها

حُكم بالاشغال الشاقة المؤبدة على واحد واربعين من اللبنانيين منهم اثنان وعشرون من الموارنة، وسبعة من الروم واثنا عشر من الدروز . وقد مروا أمس امام صيدا وايديهم مكبلة بقطع من الخشب وأرسلوا منها الى عكا . والظاهر ان الامير بشير ينتهز هذه الفرصة للتخلص من جميع اصحاب النفوذ في لبنان . فقد دهش الجميع من قبضه على الشيخ محمود نكد وعلى ابنه وابن عمه . مع انهم حافظوا في اثناء الحوادث الاخيرة على اتم الحياد . بل انهم قدموا جلّى الخدمات الى اصحاب السعادة شريف باشا وسليمان باشا والامير بشير نفسه . وسلموا الحكومة كل الرسائل الواردة اليهم من الثوار . فذنبهم الوحيد اذن ثروتهم

وخلاصة القول ان القلق سائد جميع الطبقات والجهات . ولاغلب التجار ديون على هؤلاء المنكودي الحظ، الذين ذهبوا ضحية الدسائس والجشع . وهم مهدّدون بنحسار جميع اموالهم لو دامت الحال على

هذا المنوال . وانا واحد منهم لسوء الحظ . لان جميع المديونين لي
 إما موقوفون او ملاحقون . ولي عليهم مبالغ تذكر . انا بانتظار
 سليمان باشا، الذي سافر في ٢ الجاري الى عكا، لافاتحه بأمرى، ولي
 ملء الامل ان تمردوا لي يد المساعدة في هذه الاحوال الحرجة .
 انكم تعلمون اني جمعت ثروتي بتجارة شريفة . وقد توقف الان
 دولابها وحجز القسم الاكبر من مالي في ضواحي عكا . والباقي
 منه هو ذمم الهاربين او المحكوم عليهم بالاشغال الشاقة المؤبدة .
 فان لم تنجدوني بنفوذكم ذهبت كل ثروتي هباءً منثوراً
 وزرع ولاية الامر العساكر الالبانية على مدن الساحل بين
 طرابلس ويافا . والاشغال في تحصين عكا عادت الى النشاط والسرعة
 بعد ان أهملت زمناً . فالحرب اذاً على الابواب
 رست من يومين في هذا الشجر بارجة انكليزية مسلحة بثمانية
 وعشرين مدفعاً، وهي آتية من بيروت . ومنها عرفنا ان المركبين
 اللذين كانا راسمين منذ شهر في بيروت قد تركاها . الانكليز في
 استياء شديد من حبوط غاية هذه الرحلة

٥٣

عود الثورة

في ٨ آب ١٨٤٠ . (عن الفرنسية ص ٥٦٦)

الى السيد بطرس لورلاً وكيل قنصل النمسا في بيروت

البارجة الانكليزية التي رست عندنا من يومين عادت الان الى
 بيروت . وصل سليمان باشا عائداً من عكا وسيتوجه عن قريب

اليكم . يجمع الامير بشير جميع رجال الشوف ويسلحهم ويرسلهم الى ابنه الامير خليل . هذا يدلنا على ان الثورة لم تنطفئ نازها تماماً كما أشيع سابقاً . وقد بلغني ان العصيان تجدد في اللجاء

٥٤

بوابر الحرب

في ١٧ آب ١٨٤٠ . (عن الفرنسية ص ٥٦٧)

الى السيد بطرس لورلا وكيل قنصل النمسا في بيروت

كثرت هنا الاشاعات، منذ ثلاثة أيام، عن مهمة المراكب الانكليزية التي جاءت الى بيروت في ١٣ الجاري، واستغرب سكوتكم بهذا الخصوص . لا سيما وان دولة جلالة امبراطورنا، على ما اكد لي بعضهم، متفقة تماماً مع دولة انكلترا . ابعث اليكم بكتابي هذا مع رسول خاص لتطلعوني على حقيقة الحوادث المنتظرة . اذا كان قائد اسطول جلالته ما زال في ثغركم اسألکم ان تنوبوا عني في تقديم الرجاء اليه بان يتوجه الى صيدا لاحتظي بالتعرف اليه واتلقى منه التعليمات اللازمة لتأميني ومواطني في الطواري المنتظرة

٥٥

الاستعدادات الحربية

في ٣١ آب ١٨٤٠ . (عن الفرنسية ص ٥٦٨ - ٥٧١)

الى حضرة السيد ا . لوران قنصل النمسا العام في الاسكندرية

حضرة المستشار

تلقيت كتاباً من وكيل قنصل النمسا في بيروت يخبرني فيه

ان سعادة سليمان باشا قد بلغ رسمياً قناصل الدول في تلك المدينة ان سواحل سوريا اصبحت في حالة الحصار وان عليهم ان يطلعوا السلطة العسكرية على كل الجرائم والجنايات التي يرتكبها الوطنيون او الاجانب مهما كانت تبعيتهم . وانها عازمة على تطبيق حكم الاعدام على كل من يُدخل الى سوريا كتابات او مناشير داعية الى العصيان، وعلى كل من يجلب او يوزع ذخائر حربية او مؤثلاً للطعام دون استئذان السلطة المذكورة . وانها ستنفذ ايضاً حكم الاعدام في كل من تثبت عليه تهمة التجسس او تحريض السكان على الانتفاض، سواء كان ذلك شفهاً ام كتابة ام نقداً . اما الذين يحملون او يخبئون كتابات او مناشير ثورية فتعاقبهم بالسجن من خمس سنين الى عشرين سنة اذا لم يقدموها الى الحكومة المحلية في مدة لا تزيد عن عشرة ايام، تبدأ من يوم الاعلان المذكور . وهذه الاحكام تنفذ دون حاجة الى موافقة قائد جيوش الساحل العام عليها وقد اسرع جميع القناصل الى الاحتجاج على هذه التدابير المناقضة للعهود الدولية . لاننا لو قبلناها وضعنا جميع رعايانا تحت رحمة السلطة المحلية، ومنحناها حق الحجز حتى على مراسلاتنا الرسمية في ٢٢ الجاري مر بصيدا اسماعيل بك مدير حلب في طريقه الى بيروت وبصحبه عبد الهادي افندي اخو مدير عكا، ووراءها من الفين وخمسمئة الى ثلاثة آلاف من مجندي النابلسيين، الذين اخذوا يفرّون بالملئات حال وصولهم الى هنا . فاضطر القائد ان يعيدهم الى وطنهم في ٢٩ الجاري . وستوقفهم الحكومة في عكا ريثما تستعيد منهم السلاح الذي سلمته لهم . وقد جاهرنا، على ما بلغني، امام قائدهم، انهم لا يجاربون عساكر سلطانهم

سعادة ابراهيم باشا مقيم الان في بعلبك حيث قصد الامير امين
للسلام عليه . ولما عاد الامير امين ذهب الامير بشير لمقابلته ، وما
زال عنده حتى الآن

تجمع الحكومة بجدّ وعجلة كل الضرائب والحبوب العائدة اليها ،
حتى المتأخرة وتستخدم لهذا الغرض كل وسائل العنف حتى مع النساء
وصل الى هنا من يومين الاونباشي عمر بيك ليتسلم قيادة
الفرق المجتمعة في صيدا ، المؤلف من الآلاي السادس والآلاي
الثلاثين ومن خمسمائة الباني . اما الذخائر الحربية والمؤن المخزنة في
قلعة صيدا البحرية فقد نقلت وأودعت الاقبية في داخل المدينة
رست اخيراً في ثغرنا باخرة انكليزية . ولما لم تبرز شهادة
صحية من كرنيتينة بيروت مُنعت من الاتصال بالمدينة . فاستدعى
ربانها الوكيل البريطاني . وحالما نزل هذا منها اشعلت نارها واقلعت
الى جهة بيروت . ولم نعرف شيئاً عن مهمتها
لا شيء مهم غير ما سبق

٥٦

ضرب صيدا

في ٨ تشرين الاول ١٨٦٠ . (عن الفرنسية ص ٥٦٧ - ٥٧٥)

الى حضرة السيد لوران قنصل النمسا العام في معسكر جونية

حضرة المستشار

لم يصلني منكم كتاب بعد تقريرى الاخير المؤرخ في ٣ ايلول

(١) كانت الدول اتزلت عساكرها في جونية لمساعدة الثوار على طرد الجيش

ولم اعرف بنزولكم في معسكر جونية الا أمس . وهذا ما منعني حتى الساعة عن ابلاغكم الحوادث الجارية عندنا . وقد رأيت الان من واجبي موافاتكم بما اتصل بي طالباً مشورتكم

لما اطلق الاسطول الانكليزي العثماني المدافع على مدينة صيدا تمكنتُ لحسن الحظ من الهرب بأسرتي وبأثن ما استطعت حمله، تاركاً في المنزل قواصي مصطفى آغا الياغوري . وقد لجأت الى دير مار الياس، الذي يبعد عن صيدا زهاء ساعة . وفي هذه الغضون استولى الحلفاء على المدينة . وكان بعض الجنود قد اختبأوا في منزلي بعد ان خلعوا بابيه، فأسروهم وقبضوا على قواصي وساقوه الى جونية . وعندما تشرفت بمقابلة سمو الارشيدوق تفضل بالسؤال عنه فأجيب انه على ظهر البارجة ميديل ' يعالج من ثلاثة جروح اصابته في فخذه . وقد نهب منزلي على اثر فتح المدينة، بعد ان تعطل كثيراً بقنابل المراكب . وما لم يستطيعوا حمله حطموه كله . وسرقوا حتى علم القنصلية . وقد رجوت قائد البارجة النمسية ان يعوّضي منه بغيره فأبى . ولعله كان بحاجة الى اذن حضرة البارون بنديرا . لو اشتريت لي علماً باي ثمن كان، وتفضلتم بارساله الي، جعلتموني اسير معروفكم

المصري من لبنان والعود الى طاعة الدولة العثمانية . كما جاء تفصيله في الجزء الثاني من كتابنا حروب ابراهيم باشا . وللسيد لوران تاريخ لهذه الحوادث يحتوي الجزء الثاني منه ترجمة محضر الاب توما الكبوشي في دمشق الذي نشرنا اصله العربي في مجلتنا البطريكية وعلى حدة

(١) Medel

(٢) Bandiera

لم اتمكن من النزول الى صيدا لخراب منزلي، وساعود اليها حالما يتم اصلاحه . وتروني عاجزاً عن موافاتكم بما جدّ في صيدا بعد فتحها وانتم الان اخبر مني بالحوادث . وقد عاد اليها الهدوء، وعلامات السرور بما جرى بادية على وجوه سكانها، وكثيرون منهم يتطوعون . ولولا الخوف من بطش الامير بشير لاقتدى بهم اغلب متاوله الجبل والقسم الجنوبي منه

يوم الثلاثاء الاخير ترك سعادة ابراهيم باشا بيت الدين متوجهاً الى بيروت ومنها الى سهل البقاع حيث لجأ عثمان باشا بعد ان كسره اللبنانيون . وقد ذهب ابراهيم باشا وحده لان ابناؤ الامير اعتذروا بالمرض عن مرافقته . يتردد على اللسنة ان فرنسا ما زالت، بعد كل ما حدث، مصممة على تأييد محمد باشا وشد إزره في الاحتفاظ بسوريا . وهذا يقلق افكار الجميع . فليفعل الرب ما يراه موافقاً . ومهما يكن من الامر ارجو منكم ان تشيروا علي كيف اتدبر بأسرتي الكثيرة العدد لو نشبت الحرب . انا بانتظار جوابكم بفارغ الصبر

٥٧

نطوع المتاوله

في ١٠ تشرين الاول ١٨٤٠ . (عن الفرنسوية ص ٥٧٥)

الى السيد لوران في صيدا

نزل امس مشايخ المتاوله للدخول في طاعة الدولة العثمانية وتسلم السلاح . هذا يحملنا على التفكير لانهم ما احجموا حتى الان الا خوفاً من الامير بشير . أنسب ذلك الى فقدان نفوذه ام الى تبدل طراً على خطته ؟ ان الايام كفيلة بكشف هذا السر

٥٨

نفي الامير بشير

في ١٨ تشرين الاول ١٨٤٠ . (عن الفرنسية ص ٥٧٦ - ٥٧٧)

الى حضرة السيد لوران في بيروت

حضرة المستشار

يدفعني واجبي الى ابداء ملاحظاتي على الحادث الاخير، اي نفي الامير بشير الى مالطه . لم يتيسر لي قبلاً الكتابة في هذا الشأن لان المهلة التي أعطيت له اولاً اقتضت على يومين . اما الان وقد مدت الى يوم الخميس فقد انفسح الوقت لتبليغكم هذه الرسالة والوقوف على الجواب قبل سفر الامير . اكرر القول، يا حضرة القنصل، ان خبرتي بالاشخاص الذين قضيت بينهم كل حياتي والاماكن التي قطنتها كل هذه المدة، تفرض علي المصارحة ان هذا التدبير مخالف للسياسة الرشيدة . للامير بشير كما تعلمون منزلة كبيرة لدى سكان كل سوريا، وخاصة اللبنانيين . فقد تولى، فضلاً عن لبنان، جبال النصيرية ونابلس واورشليم وجبرون . فكلمة واحدة منه كافية لاثارة اهالي هذه البلاد، لاسيما وانهم لم يكونوا ينتظرون ان يلقي اميرهم هذه المعاملة بعد ان سلم نفسه للحلفاء . كان يلوح للجميع ان مكانته ضامن كافٍ لسلامة شخصه وحرمة عهده . ولا يخفى على احد ان ابراهيم باشا نفسه لم يتمكن من احتلال سوريا الا بواسطة هذا الامير الكبير . فكان المنتظر من وكلاء الدول الاربع المتحالفة ان ينتهزوا فرصة تسليمه نفسه ليستندوا الى نفوذه

في سبيل غرضهم . كيف يجرؤ الآن بقية زعماء الجبل على التسليم الى الحلفاء، وهم مازالوا مخيرين بين البقاء على عهد الدولة المصرية والنفي المحتم، او ما شاكله من التدابير القاسية . لا شك انهم يفضلون ركوب متن الحروب مع ابراهيم باشا آملين بالفوز، على ان يزجوا انفسهم باختيارهم في خطر اكيد

لا يخطر على ذهنكم، يا حضرة القنصل العام، مما أبديته، اني ارتئي اعادة الامير الى منصة الحكم . هذا بعيد عن فكري . بيد اني ارى في استطاعة حضرات الوكلاء ان يوفقوا بين كل مرامي السياسة، فيتركوا الامير بشيراً في صيدا او في ضواحيها تحت المراقبة الشديدة، ويستخدموا اسمه واسماء اولاده، اصحاب الكلمة الاولى بين الدروز، لاثارة بقية المقاطعات التي ما زالت على طاعة الدولة المصرية . يلوح لي ان هذه الخطة اكثر فطنة واجزل فائدة وضمن عاقبة . ابسط هذه الاراء تحت انوار حكمتكم واثقاً انكم لا تجدون فيها سوى رغبة صادقة في خدمة المصلحة الوطنية . وقد املاها علي الواجب، والخوف من فوات الوقت لابداء نصيحة خالصة

٥٩

سفر الامير بشير

في ٢٢ تشرين الاول ١٨٤٠ . (عن الفرنسية ص ٥٧٨)

الى السيد لوران

مساء امس الاربعاء ركب الامير بشير السفينة ومعه كل اعضاء اسرته قاصداً الى مالطه

٦٠

مهلا، ابراهيم باشا عن سوريا

في ١٢ كانون الثاني ١٨٤١ . (عن الايطالية ص ٥٨٣)

الى حضرة الكافالير اليانو ده بيتشوتو في حلب

ابداً رسالتي مشاركاً حضرتكم في شكر المولى على تخلص سوريا
المسكينة من حكم الدولة المصرية، الذي جرّها الى الفقر المدقع
من خمسة عشر يوماً اخلى ابراهيم باشا دمشق قاصداً الى
المزيريب . ويقال ان في نيته التوجّه رأساً الى مصر . ولما كانت
هناك اشاعة بأنه يرغب في الانضمام الى القوة المصرية المحاصرة في
غزة، فقد اتخذ العثمانيون كل الحيلة لمنع اتصاله بها

٦١

نهرمة انطون كنافاكو

في ٢٧ شباط ١٨٤١ . (عن الفرنسية)

الى سعادة البارون ده ستورمر في الاستانة المفوض المطلق لدى الباب العالي

لا اعرف كيف اعبر لسعادتكم عن دهشتي للشكوى المقدمة
علي الى البلاط الامبراطوري باني سلكتُ سلوكاً غير محمود، مسنداً
مساعي عمال اجانب رامية الى منع اللبنانيين من العودة الى طاعة
سلطانهم الشرعي

غير خاف على سعادتكم ما اتاه في حقنا ابراهيم باشا، وكيف كنا،
في السنوات الثلاث الاخيرة، عرضةً لمعاكساته ومظالمه . فقد حجز
لي انا ولاخي ولابني الفبي كيس اي مليون غرش . واصدر اخيراً

الامر الى قواد جيشه في عكا ان يقبضوا على ابني لويس في دير
جبل الكرمل لانه حرّض سكان الجوار، وهذا حقيقي، ان ينتقضوا
على حكومتهم . . .

٦٢

اغنية تاريخية

هذا ما رأينا تعريبه من سجل انطون كتافا كو ضارين صفحاً
عن بقية ما جاء فيه، مما يدور حول شؤون خاصة به وباسرته
ولا بأس من ان نختم هذه الوثائق بتدوين أغنية يناهز الان
عمرها سبعاً وتسعين سنة، ما زالت تتردد على السنة اللبنانيين
وجيرانهم. ومصدرها حوران كما يدل مطلعها. وهي تاريخية لشارتها
الى تدخل الدول في اجلاء عساكر محمد علي باشا خديوي مصر عن
لبنان وسوريا، والى ما اقامه لهذا الحادث اهل البلاد وخاصة الدروز،
من معالم الافراح، غير حاسبين حساباً لما يعده لهم حكم الاتراك
العائد من المظالم والويلات. وهم يوقعون هذه الاغنية على الرقصة
المشهورة عندهم بالدبكة ومطلعها:

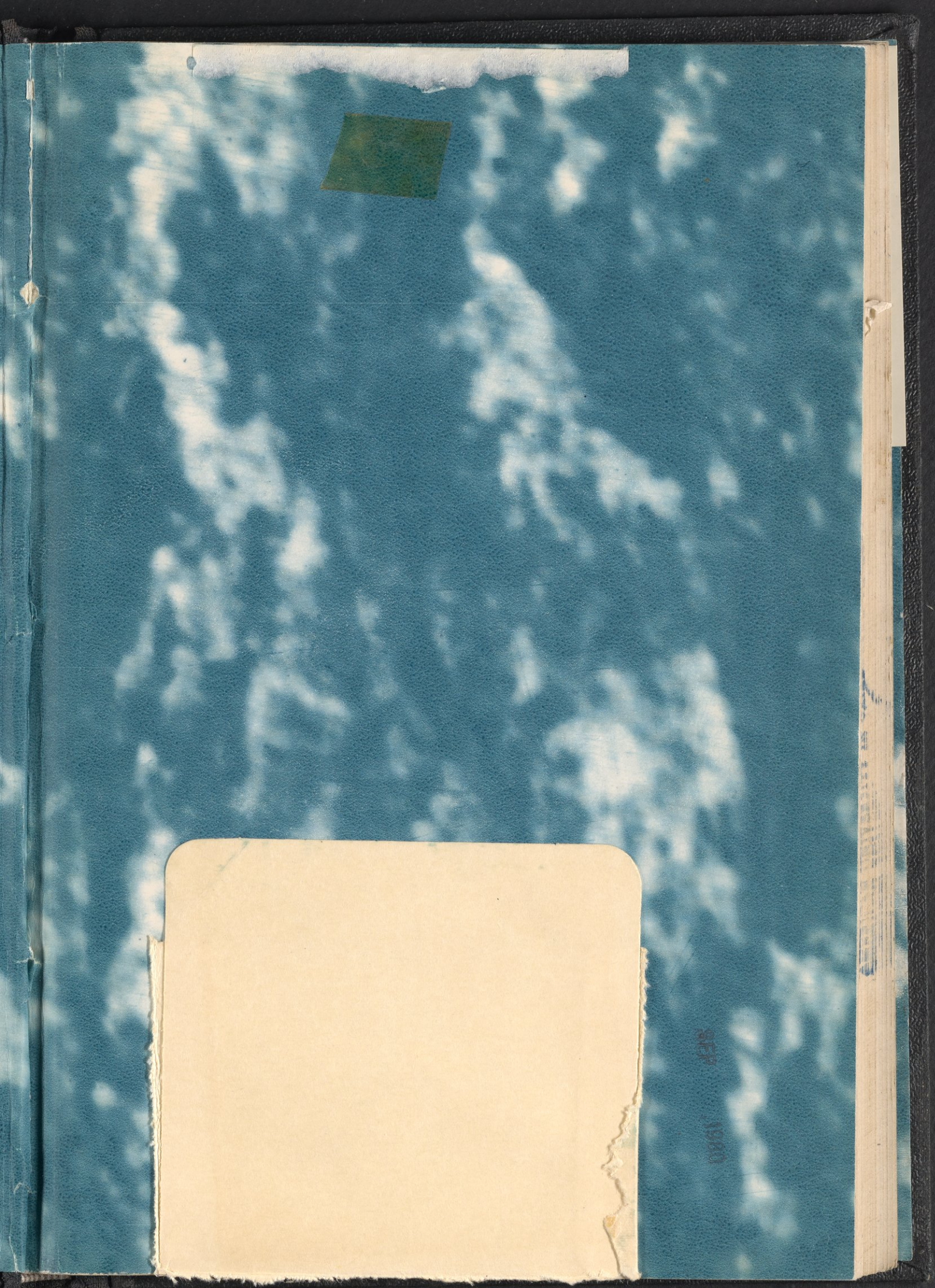
قومي العبي يا بنيّه يا فطيم الحورانيّه

دور

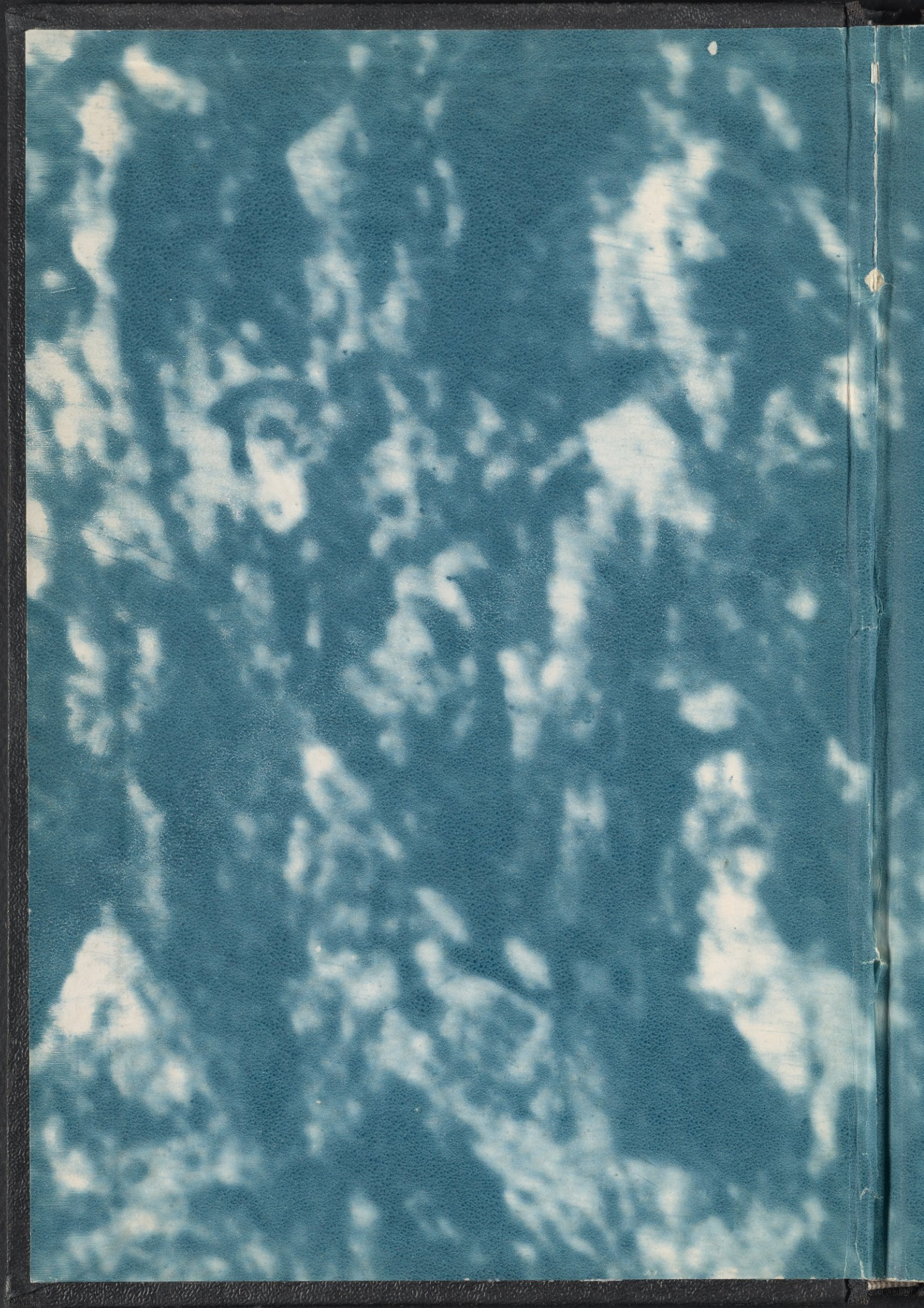
قومي العبي بالدبكه سبع سلاطين مشتبكه
محمد باشا عم يبيكي على ولاية سوريا

حريصا في ٢٨ ايلول ١٩٣٧

انحورتي بوشتر قرألي



SEP 1980



DS
84
.K38
1937

DS
84
.K38
1937